جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات الأدبية والنقدية

# التقديم والتأخير في الحديث النبوي الشريف تطبيق على كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان

## دراسة بلاغية تطبيقية

رسالة ماجستير

إعداد الباحث/
ابن عمر محمد صالح حسين

إشراف الدكتور/
محمد الحسن علي الأمين

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

# مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ثم الصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على أفصح الثقلان، من أعطي جوامعَ الكلم،ومُنِحَ البيان،صلى الله عليه وعلى آله المقدمين في مضمار البلاغة والفصاحة،وأصحابه الذين هدوا لمكامن الإعجاز في كتاب الله تعالى، فَعَلِمُوا وعملوا بما فيه،فرضي الله عنهم ورضوا عنه.

أما بعد فلما قرأت كتاب الإمام عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز وقفت طويلاً عند قوله في باب التقديم والتأخير:" هو باب كثير الفوائد،جم المحاسن،واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة،ويفضي بك إلى لطيفة،ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعُه،ويلطف لديك موقعُه،ثم تنظر فتجد سبب أن راقك، ولطف عندك،أن قدم فيه شيء،وحول اللفظ عن مكان إلى مكان "(١). فأثار هذا الكلام في نفسي عدداً من الأسئلة: ما وجه كثرة فوائده ومحاسنه ؟ وكيف هو واسع التصرف وبعيد الغاية ؟ ولماذا استمر فيه ظهورُ البديعة، والتوصيلُ إلى النكتة اللطيفة ؟ ثم قرأتُ قولَه . بعدَ أن بين الفرق بين قتلَ الخارجيَّ زيدٌ، وقتلَ زيدٌ رجلاً .:" فهذا جيد بالغ،إلا أن الشأن في أنه ينبغي أن يُعْرَفَ في كل شيء قدم في موضع من الكلام مثلُ هذا المعنى،ويفسرَ وجهُ العناية فيه هذا التفسير"(٢). إذاً هي دعوة من الشيخ للتأمل في النصوص هذا التأمل، والوقوف عليها هذا الوقوف،لمن أراد أن يعرف وجهَ وصدقَ ما قال في مقدمة فصل التقديم والتأخير، فحرك هذا في نفسي تشويقاً لدراسة التقديم في ضوء ما قاله الشيخ عبد القاهر في هذه القضية، وما أضافه العلماء الذين جاءوا بعده.والتقديم والتأخير قضية شغلت بالَ العلماء والباحثين في اللغة العربية في كآفة مستوياتها،فقد عُنِيَ بها علماء

---

(١) دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت(٤٧١ أو٤٧٤هـ) تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م، ص ١٠٦.
(٢) دلائل الإعجاز، ص ١٠٨.

اللغة القدامى والمحدثون، كما عني بها علماء النحو،وأكثروا الكلام فيها، ثم تناولها علماء البلاغة والبيان، ووقفوا فيها وقوفاً طويلاً جداً،ودرسوها دراسة متأنية ودقيقة، ويأخذ بيد هذا كلامُ شيخ البلاغيين الذي تقدم ذكره،فالتقديم والتأخير في علم البلاغة قضيةٌ حمالةُ أوجهٍ، فهي من ناحية دراسة تتصل بالأسلوب صِحَّةً وفساداً،ومن ناحية هي الموضع الذي تتفاوت فيه مراتب الرجال عند سياحتهم في أودية القول وفنون الكلام،ومن ناحية أخرى كانت وجهاً من وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى، وهذا ما سعى إليه الإمام عبد القاهر في تأصيله لنظرية النظم الذي به الإعجاز في كتاب الله عز وجل؛إذاً التقديم والتأخير من أهم مباحث علم المعاني، بل من أهم مباحث علم البلاغة؛ ومما يدل على هذا أن كَثُرَ ورودُه والنظر فيه عند علماء علوم القرآن الذين أفردوا لهذا العلم كتباً خاصة به، كما سترى هذا بيناً في الفصل الرابع . إن شاء الله . فصممت العزم على دراسة هذه القضية دراسة تطبيقية تحليلية،ووقع اختياري على كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (البخاري ومسلم) للعلامة محمد فؤاد عبد الباقي، وقيمة هذا الكتاب أن جمع أعلى أنواع الحديث صحة،وهي كل ما اتفق عليها الإمام البخاري والإمام مسلم في تخريج أصل الحديث، وورد فيه ستة وتِسْعُمائة وألفُ حديثٍ، والسبب في اختياري علمَ الحديث قلة الدراسات البلاغية التطبيقية فيه[1]،وفي هذا يقول الدكتور عُودة خليل:" أما الدراسات التي دارت حول الحديث النبوي الشريف فإنها لم تشمل . تقريباً . إلا الجانب الأساسي الأول،وهو جانب التشريع،أما جانب اللغة والناحية الفنية والأسلوبية في الحديث الشريف فهي قليلة جداً "[2]. فأردتُ أن يكون البحث خطوة في هذه الدراسة القليلة.

---

[1]) وقد قال لي أستاذي فضيلة الدكتور محمد الحسن الأمين في مقابلة لي معه :" إن السبب قد يكون أن العلماء قالوا : إن الأحاديث رويت بالمعنى؛ لذا لا يمكن أن نصدر حكماً على القيمة الأدبية في كلام رسول الله (ﷺ) بأنها كذا؛ لعدم اليقين بأن القائل هو رسول الله(ﷺ) ". ولي تعقيب على هذا الكلام لاحقاً إن شاء الله تعالى.

[2]) انظر بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين،للدكتور عُودة خليل أبو عُودة،مطبعة دار البشير، عمَّان ــ الأردن،١٤١٤هــ / ١٩٩٤م، ص ٤٥.

**أهمية الموضوع**:

ومن هنا تنبع أهميةُ الموضوع؛ إذ بدراسة التقديم والتأخير تتبين مواضع الجمال والفصاحة في النص، فندرك مدى صحة الأسلوب الذي أخرج فيه النص، وموافقتِه لحال المخاطب، وَفْق ما قاله علماء البلاغة؛حتى نتمكن من الحكم على النص،وتقويمه،ووضعه في مكانه المناسب من حيثُ النصوصُ الأخرى،وهذه . فيما . أرى هي الغايةُ الكبرى من الدراسات التطبيقية للأساليب البلاغية . ومما يدل على قيمة كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان إليك قول محمد فؤاد عبد الباقي عن قيمة كتابه في علم الحديث روايةً يقول(رحمه الله): " فدونك أيها القارئ كتاباً أحصى جميع الأحاديث التي هي في أعلى درجة من درجات الصِّحة،فأحرز نفسك في حِرْزِهِ، واشدد يديك بِغَرْزِهِ "[١].

**الدراسات السابقة**:

الحق أن التقديم والتأخير من حيث كونُه أسلوباً بلاغياً، وركناً ركيناً في نظرية النظم التي بها الإعجاز ما من دارس لأساليب علم المعاني تطبيقاً وتحليلاً ودراسةً إلا ووقف عنده زمناً ليس بالقصير، بدءاً سيبويه و عبد القاهر في دلائل الإعجاز، و مروراً بابن الأثير في المثل السائر، ويحيى بن حمزة العلوي في الطراز، والسكاكي في مفتاحه، والخطيب في كتابيه، وكذا شراح التلخيص، وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين، وقد تناوله الدكتور محمد محمد أبو موسى في دلالات التراكيب من حيث إنه من أساليب القصر ،وقد أفدت منه غاية الإفادة،خاصة في التحليل والنظر في ما وراء ظاهر اللفظ. لكن في هذا الموضوع تحديداً لم أجد بحثاً دَرَسَ التقديم والتأخير في الحديث النبوي دراسة بلاغية مختصة،فيما وقفت عليه من مراجع وزرتها من مكتبات. وهذا . أيضاً . من الأسباب الداعية لاختيار الموضوع، وإن كان ترتب على هذا بعض المشكلات، في

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان،لمحمد فؤاد عبد الباقي،مطبعة دار الفكر،دون تاريخ، ج١،ص ح.

كوني أتوصل إلى نتائج لم أسبق إليها بناء على ما قادني إليه تحليلي، وهذا أمر خطير إذا الكلام في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**أهداف البحث**:

يسعى هذا البحث إلى الكشف عن مدى فائدة أسلوب التقديم والتأخير في خدمة المعاني التي أرادها رسول الله(ﷺ)،أو أراد إيصالها لأمته، من خلال كتاب اللؤلؤ والمرجان، ثم تبيينِ أكثر أساليب التقديم وروداً في كلامه، أعني بذلك . مثلاً. الكشف عن أن تقديم المسند إليه، وهو اسم (إن)، أكثر وروداً من اسم كان بل لم أجد نماذج تستحق الوقوف عندها، ومثل أن تقديم الخبر والمراد به التنبيه على أنه خبر لا نعت أقل من ورده للاختصاص، ومثل أنه لم يَرِدْ تقديم الجار والمجرور على عامله في فصل تقديم متعلقات الفعل والغرض الاختصاص . مع كونه هو الغالب في هذا الموضع . إلا في موضعين، ونحو ذلك.

**أهم المصادر**:

الحق أني عولت تعويلاً شديداً على كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر؛لأنه هو قطب الرحى الذي دار عليه العلماء الذين جاءوا بعده في دراسة البلاغة العربية،خاصة في مسألة تقديم المسند إليه والغرض المدح، أو التأكيد، ثم كتاب الكشاف للزمخشري، و كتاب المثل السائر لابن الأثير في باب الاختصاص، وكتاب الطراز ليحيى،ومفتاح العلوم للسكاكي والتلخيص وشروحه والإيضاح في القياس على الأغراض،ولا سيما كتاب مواهب الفتاح،وكتاب عروس الأفراح، وغيرها من كتب المحدثين،وأفدت جداً من أبي موسى في دلالات التراكيب،في كيفية التحليل والاستنباط والقياس على ما قاله علماء البلاغة، أيضاً كان لي وقفات مع كتاب البرهان في علوم القرآن الزركشي، خاصة في الفصل الأخير من البحث(التقديم لبعض الكلمات أو بعض الجمل على بعضها البعض من حيث الرتبة في الكلام). هذا، ومن ناحية أخرى قد كان من أهم الكتب التي عولت عليها شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني،

وشرح صحيح مسلم للإمام الحافظ النووي وكدتُ استغني عن شروح الصحيحين بهما؛لأني ما راجعت مسألة عند غيرهما إلا ووجدتها عندهم مع زيادةٍ وفوائدَ،،وهما ليس لهما صلة مباشرة بموضوع البحث،ولكني عولت عليهما في فهم الحديث الذي انبنى عليه تحليلي،فلا أشرع في تحليل الحديث حتى أرجع إليهما.

**هيكل البحث**:

قسمت البحث إلى أربعة فصول،وفي كل فصل عدد من المباحث،وفي كل مبحث عدد من المطالب،راعيت فيها تقسيم السكاكيِّ والخطيبِ،بيد أن الفصل الرابع أفدت في كثير من تفاصيله من علماء علوم القرآن،وقبل ذلك كتبت مقدمة وتمهيداً، تعرضت في التمهيد إلى مقدمة موجزة عن التقديم والتأخير عند علماء البلاغة. الفصل الأول تحدثت فيه عن دواعي وأسباب تقديم المسند إليه على المسند وفيه ثلاثة مباحث، مبحث عن المبتدأ، ومبحث عن اسم إن،وآخر عن الفاعل، وكل مبحث أوردت فيه عدداً من المطالب،بحسب الأغراض التي وجدتها في الأحاديث، و إنما اكتفيت بهذه المباحث لأني لم أجد غيرها في كتاب اللؤلؤ والمرجان مما هو عندهم مسند إليه، أو وجدت ما لا يعتد به مبحثاً.

أما في **الفصل الثاني** فتناولت أسباب تقديم المسند على المسند إليه،وفيه ثلاثة مباحث، الأول: عن تقديم خبر المبتدأ، والثاني: عن تقديم خبر (إن)،ثم الأخير عن تقديم خبر كان، واكتفيت بها؛ لأني لم أجد غيرها في هذا الكتاب مما يعتد به،ولم أذكر الفعل، وإن عدوه في أنواع المسند؛لأن مكانه في النصوص التي بين يدي التقديم من حيث كونُه هو الأصلَ، وما جاء على أصله لا يسأل عن سببه.

**وفي الفصل الثالث** فَصَّلْتُ القول في متعلقات الفعل،وذكرت منها: الجار والمجرور،والظرف، والمفعول به، والحال، ولم أذكر غيرها من المتعلّقات لعدم ورودها في غير مكانها. وراعيت في كلِّ البحثِ الترتيبَ من حيث كثرةُ الأمثلة، فإن تساوت الأغراض من حيث عدد النصوص، راعيت ترتيب الحديث من حيث رَقمُه في كتاب اللؤلؤ والمرجان.

أما **الفصل الرابع** ففيه مبحثان: تناولت في الأول تقديم بعض الكلمات على بعض، وفي الآخر تقديم بعض الجمل على بعض الجمل. وأخيراً ذيلت البحث **بخاتمة** بينت فيها أهم النتائج التي قادني إليها البحث. ثم ختمت الدراسة بالفهارس الفنية.

**منهج البحث**:

اتبعت في بحثي المنهج التطبيقيَّ التحليليَّ، ولم أُحصِ كل النصوص التي وردت فيها أنواعُ المسند إليه،أو المسند، أو متعلقات الفعل، وإنما اخترت نصوصاً فيه نوع من التميز،أو أغراضاً تكررت فأخذت منها نماذج؛ والسبب في ذلك أن ما قيل في هذا المثال يقال في هذا المثال،وإن اختلف موضوع الحديث، فطبقت خلاصة ما فهمته مما قاله علماء البلاغة في مختلف عصورهم في قضية التقديم والتأخير،على ما ورد من الأحاديث في كتاب اللؤلؤ والمرجان، وراعيت في هذا الكتاب الأقوال التي قيل فيها:قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ولم أتعرض لتحليل أقوال الصحابة أو التابعين التي وردت في الكتاب، وإن كانت وردت في ثنايا كلام رسول الله(ﷺ)، ولا أذكر راويَ الحديث من الصحابة وما قاله إلا إذا كان يَتوقفُ فهمُ كلامِ رسولِ اللهِ(ﷺ) على كلامه، فمثلاً أورد النص فأقول: "الحياء لا يأتي إلا بخير".وأحلله هكذا. ثم راعيت في ترتيب المطالب كثرة النصوص.

وقد راجعت تخريج الأحاديث في المواضع التي أشار إليها المؤلف فوجدتها صحيحة كما قال وَفْقَ منهجه، فلم أخرج الحديث مرة أخرى في الصحيحين، واكتفيت بتخريجه، لكن أشرت لرقم الحديث في الكتاب في هامش الصفحات؛ لتسهُل مراجعةُ الحديث فيه، كما تجنبت التعريف بعلماء البلاغة. هذا، ولم أفرد للدراسة النظرية جزء خاصاً به، وإنما ضمنتها في خلال الدراسة لتطبيقية، والتزمت رسم المصحف في الآيات التي ذكرتها، وحرصت على الرجوع إلى شرَّاح الصحيحين لا سيما النووي وابن حجر، وأفدت منهما جداً في التحليل، واستنباط المعاني التي وراء الألفاظ. فإن أصبت فذلك ما أرجوه،وحرصت عليه،ولم أدخر وُسْعاً في الوصول إليه، وإن تكن الأخرى فأرجو التنبيهَ عليها؛لكي أتداركها،وليس ذلك ببعيد أو عزيز؛ لأنه عمل من صنع البشر. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الباحث

# تمهيد

كما أسلفت القول:إن التقديم والتأخير من القضايا التي أولاها العلماء اهتمامهم بمختلف دراساتهم وتناولهم، فقد قال أبو منصور الثعالبي:" العرب تبتدئ بذكر الشيء والمقدم غيره"(١). وهذا الأمر نفسه أشار إليه أحمد بن فارس فقال:"من سنن العرب تقديم الكلام وهو في المعنى مؤخر،وتأخيره وهو في المعنى مقدم "(٢). إذاً هذا تنبهٌ من العلماء لهذه الظاهرة،وهم لم يعللوا لما قالوه، ولكن يستفاد من كلامهم أن التقديم والتأخير أسلوب عربي خالص لم يأخذوه من غيرهم، لكن ينبغي إذا أردنا أن ننسج على منوالهم، ونحوك الكلام على مهيعهم، أن ننظر في الكلام . إذا ورد فيه اسم على اسم . في علة تقديمه ما هي(٣)؟ ولقد تنبه إلى هذا الإمام عبد القاهر الذي يعد أفضل تناول التقديم والتأخير بالتحليل؛لأنه من حدد طريقة تحليلها، والأغراض التي يمكن أن ترد في التقديم والتأخير، لكنه وكذا العلماء الذي جاءوا بعده لم يذكروا لكل من التقديم والتأخير دواعي خاصة؛لأنه إذا تقدم أحد ركني الجملة تأخر الآخر، فهما متلازمان (٤). والحق أن العلماء بعد عبد القاهر ولا سيما السكاكيِّ ومدرستِه، قسموا دراسة التقديم والتأخير على حسب المسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل. وقد أشار العلامة عبد الرحمن الشربيني لمسألة مهمة، فقال:" فإن قلتَ: كيف يطلق التقديم على المسند إليه،وقد صرح صاحب الكشاف:بأنه يقال مقدم ومؤخر للمُزال لا للقارِّ في مكانه(٥)؟. قلتُ: التقديم ضربان: تقديم على نية التأخير، كتقديم الخبر على المبتدأ،أو المفعول على الفاعل ونحو ذلك

---

(١) فقه اللغة وأسرار العربية، للإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت(٤٣٠)، تحقيق يس الأيوبي، مطبعة المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص٣٥٥.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة مكتبة دار إحياء الكتب العربية، مصر، دون تاريخ، ص ٣٧٠.

(٣) جوهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة لعماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد،ت(٦٩١)، تأليف نجم الدين احمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي،(٧٣٧)، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، مطبعة منشأة المعارف، الإسكندرية، دون تاريخ، ص ٢٨٠.

(٤) الحواشي النقية على كتاب البلاغة لنخبة الأفاضل الأزهرية، لمحمد بن علي بن حسين المالكي، مطبعة مصطفى محمد، مصر، دون تاريخ، ص ٢٠.

(٥) لم أوفق في معرفة الكتاب الذي قال فيه الزمخشري هذا الكلام.

مما يبقى له مع التقديم اسمه ورسمه الذي كان قبل التقديم، وتقديم لا على نية التأخير، كتقديم المبتدأ على الخبر، والفعل على الفاعل، وذلك بأن تَعْمِدَ إلى اسم فتقدمه تارة على الفعل فتجعله مبتدأ،نحو: زيد قام. وتؤخره تارة أخرى فتجعله فاعلاً،نحو قام زيد. وتقديم المسند إليه من الضرب الثاني، ومراد صاحب الكشاف ثَمَّةَ هو الضرب الأول "[١]. وهذا الكلام نفيس؛لأن العلماء قرروا أنه لا يقال قدم لغرض لكذا إلا إذا كان جائز التأخير كما سأذكر ذلك لاحقاً. وهناك تقديم ليس على تلك الاعتبارات وإنما باعتبار التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أخر لما تغير المعنى، وقد أورد العلوي لهذا التقديم أحوالاً خمسة،فقال:" اعلم أن الألفاظ تابعة للمعاني، والمعاني لها في التقديم أحوال خمسة: تقدم العلة على المعلول، والتقدم بالذات، نحو تقدم الواحد على الاثنين، وتقدم الشرف، نحو تقدم الأنبياء على الأتباع، والتقدم بالمكان،نحو تقدم الإمام على المأموم،ونحو من يقرب من الحائط دون من تأخر عنه، وتقدم بالزمان "[٢].

ولابن الأثير كلام لا يختلف عن هذا كثيراً،فقال:" التقديم والتأخير باب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة، وهو ضربان: الأول: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، لو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى، والثاني يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك،ولو أخر لما تغير المعنى "[٣].

فهذه كلمة موجزة عن بعض ملامح التقديم والتأخير بمختلف أحواله عند بعض العلماء، وقد بسطت القول عن هذه القضايا وغيرها في ثنايا البحث.

---

([١]) فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح، للشيخ عبد الرحمن الشربيني، مطبعة العباس، القاهرة، ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م، ج ١، ص ٣٧٠.

([٢]) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، راجعه جماعة من العلماء، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت ، ج ٢، ص ٥٦ ــ ٥٨.

([٣]) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير،مطبعة البهية،القاهرة، ١٣١٢هـ ، ص ١٨٠.

المقدمه

الحق أن ما قالته العلماء من كون العرب يقدمون الذي هو أهم عندهم، هو نفسه العلة والسبب الأصيل في تقديم المسند إليه على المسند، والمراد بالتقديم أن لا يحوَّل عن مرتبته، بأن يُنطق به أولاً، لا أن رتبته التأخير فقدم عنها.

وهذا الفصل تناولت فيه أغراض تقديم المسند إليه على المسند، وهذه الأغراض منها ما تكرر في كل الفصل، ومنها ما ورد مرةً أو مرتين، والمكررة لا تخرج في جملتها عن التأكيد وتقوية الحكم وتقريره، وقد ذكر الإمام عبد القاهر لهذا الغرض . حسب ما أحصيتُه عنده . سبعة مواضع، هي:ما سبق فيه إنكار منكر،أو يجيء فيما اعترض فيه شك،أو في تكذيب مدعٍ، أو فيما القياس أنه لا يكون،وفي كل خبر على خلاف العادة وعما يستغرب من الأمر،ومما يحسن فيه الوعد والضمان، ويكثر في المدح[١]. ومن الأغراض التي تكررت في هذا الفصل التعظيم، والتعظيم أشار إليه ابن يعقوب المغربي عندما تحدث عن أغراض تقديم المسند إليه بقوله:" كتعجيل إظهار تعظيمه نحو: رجل فاضل عندنا. ..، وإنما قلنا: تعجيل؛ لأن إظهار التعظيم والتحقير حاصل بالتأخير أيضاً، والمختص بالتقديم تعجيل الإظهار"[٢] والحق أن هذا كلام دقيق، وتأمل عميق. وقد قال الشيخ الدسوقي (رحمه الله) داعماً ومؤكداً هذا المعنى:"ولا شك أن التعجيل خاصٌ بالتقديم"[٣].

ومن الأغراض التي تكرر ذكرها التشويق إلى ذكر المسند وهو يكثر إذا كان المبتدأ اسم موصول عموماً وهنا أيضاً. ومما يلاحظ هنا أنهم اشترطوا لهذا الغرض طولَ كلمةِ المسند إليه، بحيث يوجب التشويقَ إلى المسند؛ لأن الحاصل بعد الشوق ألذ وأمكن في النفس[٤]وبهذا يمكن أن نعلل كثرة وروده في باب الإخبار بالذي أن

---

[١] دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت(٤٧١ أو٤٧٤هـ) تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ١٣٣ ـ ١٣٥.

[٢] شروح التلخيص، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ج٢، ص٣٩٥.

[٣] انظر حاشية العلامة محمد بن محمد بن عرفة الدسوقي على شرح العلامة مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني على التلخيص، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ج ١، ص ٣٩٤.

[٤] شروح التلخيص، ج ١، ص ٣٩١.

السبب هو وجود جملة الصلة التي تكسب المسند إليه نوع من الطول. وفي نهاية هذا البحث سأحاول أن أربط بين هذه الأغراض في المباحث المختلفة، وأحلل دلالة تكرارها. وقـــــــرر

العلماء أن من أغراض تقديم المسند إليه على المسند تقديمه لأنه الأصل، والمعنى أن المسند إليه محكوم عليه، والمسند محكوم به، والمحكوم عليه متقدم في الذهن على المحكوم به[١]، والجري على الأصل إنما يكون عند انتفاء سببِ العدول؛ لأن معنى الأصالة هنا كون الشيء مُتمسَكاً به عند انتفاء جميع العوارض[٢] ولكن هذا أيضاً يفتقر إلى التأمل، لِمَا كان على الأصل.هذه ملامح عامة لأهم الأغراض التي تكرر ورودُها في هذا الفصل، وبعض أراء العلماء فيها، وقد بسطت القول في هذه الأغراض في ثنايا الفصل. ولكن مما أحب أن أنبه إليه أن العلماء عددوا أنواع المسند إليه، ولكني لم أجد كل تلك الأنواع في هذا الكتاب، وإنما وجدت المبتدأ، واسم (إن)، والفاعل. فكانت هي محور الدراسة.

---

[١]انظر عروس الأفراح، لأحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، ضمن شروح التلخيص، ج١، ص ٣٨٩.

[٢]انظر مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربي، ضمن شروح التلخيص، ج١، ص ٣٩٠.

# الفصل الاول

## المبحث الأول
## تقديم المبتدأ

هذا المبحث سأتناول فيه الأغراض البلاغية لتقديم المسند إليه،الذي هو المبتدأ على المسند الذي هو الخبر، وهي في جملتها لا تخرج عن سبعة أغراض، هي: التأكيد، والتعظيم، والتشويق إلى ذكر المسند؛ كي يتمكن الخبر في ذهن السامع، والتخصيص، والتقديم لأنه الأصل، وإيهام أنه لا يزول عن الخاطر، والتعجب من المسند إليه وإنكاره. هذه هي الأغراض التي وجدتها، وقادني إليها التأمل في تلك الأحاديث الشريفة، وَفْق ما فهمته من ألفاظها. ولا يخفى أن العلماء ذكروا غيرها في كتبهم، وما أراه أن ورود هذه الأغراض لم يكن مصادفةً، وأنه جاء في كلامه(ﷺ) هكذا كيفما اتفق، وإنما هي أغراض كانت مقصودة في استعمال أسلوب التقديم والتأخير. وسأرجئ الحديث عن هذه القضية، التي هي في الحقيقة نتائج، إلى نهاية الفصل. وهذه الأغراض قد أشار إلى معظمها علماء البلاغة في هذا الباب، وهم . حقيقة . أكثروا من الاستشهاد في باب المسند إليه بالمبتدأ، وخير مثال على ذلك أن الإمام عبد القاهر(رحمه الله) حين إذ تحدث عن التأكيد وتقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع في هذا الباب لم يمثل بغير المبتدأ[(١)]، وكذا العلماء الذين جاءوا بعده، فيما وقفت عليه. ولعل السبب أنه يكثر وروده في الكلام، بخلاف سائر أنواع المسند إليه الأخرى. نعم لاحظت كثرة ورود اسم (إن) في الحديث النبوي، لكنَّ تنوع الأغراض فيه قليل مقارنة مع تنوعها في باب المبتدأ. وقد يكون السبب أن تقدم المسند إليه في بابها هو الأصل، بل لا يصح خلافه إلا إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً كما هو معلوم.

---

(١) انظر دلائل الإعجاز، ص ١٢٨ ـ ١٤٠.

## لمطلب الأول: التأكيد وتقوية الحكم

**"الْحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ"**[١]

قدم المبتدأ في هذا المثال للعناية والاهتمام به. ثم إن الاهتمام كان من أجل أن في تقديمه تأكيداً وتقويةً إلى انحصار الخير في الحياء،وأنه لا يجيء منه سوى ذلك. ولا يخفى أن في هذا التأكيد حضاً وحثاً للتخلق بهذا الخلق العظيم.

**حديث أبي هريرة (ﷺ) قال رسول الله(ﷺ)ليلة أسري به:"رأيت موسى وإذا رجل ضَرْبٌ، رَجِلٌ، كأنه من رجال شَنُوءَةَ [٢]،ورأيت عيسى فإذا هو رجل رَبْعَة أحمر، كأنما خرج من دِيمَاسٍ[٣]، وأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ" [٤].**

الغرض البلاغي الذي ظهر لي من تقديم المبتدأ، في قوله:" وأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ بِهِ" هو التأكيد، بيان هذا أن الضمير أفاد أن رسول الله (ﷺ) أكثر وأشد وأقرب شبهاً بخليل الله سيدنا إبراهيم . على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . دون سائر أولاده. فانتفى أن يكون غيره أشبه به منه؛ لما في تقديم الضمير من التأكيد.

**" لما كذبتني قريش قمت في الحِجْر فجلا لي الله بيت المقدس، فَطَفِقْتُ أُخْبِرَهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ" [٥].**

قدم الضمير في جملة الحال لأن سيدنا رسول الله (ﷺ) حين أخبرهم أن الله . تبارك وتعالى . أسرى به (ﷺ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في جزء من الليل . أنكر القوم إنكاراً شديداً، فحينها رُفِع البيت إليه فوصفه لهم. فرسول الله (ﷺ)هنا يخبر من بحضرته أن الله رفع له البيت، فوصفه لهم وهو ينظر إليه، فأخبرهم عن آياته، وعلامته، وهيئته، لكن تقديم الضمير أفاد أن وصفه كان عن رؤية عين،

---

[١] اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد فؤاد عبد الباقي،مطبعة دار الفكر،دون تاريخ، الحديث رقم (٢٣).

[٢] شَنُوءَة: قال ابن حجر:" حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، ولقب بذلك لشنآن كان بينه وبين أهله، والنسبة إلى شنوءة، شنوئي، وشنئي، وقال ابن قتيبة: سمي بذلك لتباعده من الأدناس. وقال الداودى:رجال الأزد معروفون بالطول". فتح الباري، ج٦، ص٦٠٠ .

[٣] الديماس: جاء في رواية للإمام مسلم بعني (حَمَّاماً) انظر صحيح مسلم، حديث رقم (٢٧٢)، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله (ﷺ)، ج١، ص ٤٩٤. وفي مختار الصحاح هو السرب، مادة د م س ، والسرب: بيت في الأرض مآدة سرب، ص ١٤٨، قال ابن حجر:" ويطلق أيضاً على الكن، والحمام من جملة الكن. والمراد من ذلك وصفه بصفاء اللون،ونضارة الجسم،وكثرة ماء الوجه". فتح الباري ج٦،ص٦٧٧.

[٤] الحديث رقم (١٠٦).

[٥] الحديث رقم (١٠٩).

ومشاهدة بصر، ونظر حدقة، فأكد وحقق نظره إلى بيت المقدس في نفس السامع بتقديمه الضمير، فامتنع الشك أنَّ الوصف كان بإخبار الوحي، أو إملاء الملك.

"**كُلُّ نَبِيٍّ سَأَلَ سُؤَالاً" أو قال: " لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**"(١).

الظاهر لي أن تقديم المبتدأ دالٌ على التأكيد والتقرير؛ فالنبي (ﷺ)هنا يحقق على السامع، ويمنعه من الشك، ويباعده عن الإنكار، أو أن يظن به الغلط أو التجوز أن كل الأنبياء وجميع المرسلين قد أعطاهم الله دعوة تجاب لهم، فسألوا الله كلُّهم أجمعون فأعطاهم سؤالهم. لذا قال (ﷺ)في بقية الحديث: فاستجيبت. فالذي يهمنا ويعنينا هنا، أن كل الأنبياء خلا رسول الله (ﷺ) دعوا الله، لا أن السؤال وقع من كل الأنبياء؛ لأن الذي يراد أن يبنى على هذا أنه (ﷺ) وحده لم يدع كما دعا إخوانه.

"**إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ، وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا،فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ**" (٢).

النبي (ﷺ) هنا يحضنا ويحثنا أن نخفف الصلاة، ونتجوز فيها، لاسيما إن وجد الداعي إلي ذلك، فيجب أن نخفف وإن كنّا في أشدّ حالات الخشوع والشوق للوقوف بين يدي الله عز وجل، بل وإن وصلنا إلي درجة التلذذ والأنس بمناجاة ومخاطبة الحق (عز وجل)، فيجب أن نخفف إن كنا نصلي بالناس، حتى لا نفتنهم فيها.

فهمت هذا من تقديم الضمير"أَنَا"؛ لأن تقديمه أكد أنه (ﷺ) وهو في أعلي درجات الأنس بالله ؛ يدخل الصلاة ورغبته وعزيمته وهمته ونيته الإطالة في الصلاة، فيخفف. فحق لغيره اتباعه والتأسي به.

"**الْبُزَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**"(٣).

الحق أن المؤمن غايته إرضاء ربه، وهمه اتباع أوامر نبيه (ﷺ) ومَرامه معرفة أحكام الشريعة في الأفعال والأقوال والحركات والسكون. فإذا قيل له: البزاق في المسجد. اشرأبّتْ نفسه، وتشوف قلبه إلى أن يعرف حكم ذلك الفعل،فإذا قيل له:

---

(١) الحديث رقم (١٢٢).
(٢) الحديث رقم (٢٧١).
(٣) الحديث رقم (٣٢٤) .

خطيئة. تباعد من ذلك، واقشعر جسمه من فعله هنالك. إذاً الغرض من التقديم تقوية حكم كون البزاق في المسجد خطيئة.فيقع في خاطره:ماذا يفعل إن سهواً حصل منه ذلك وما كفارته ؟إذاً الذي يهمه ويعنيه هو معرفة كفارة ذلك، فناسب تقديمها. ثم إنه لا مانع من أن يفيد تقديم الكفارة هنا القصر، فيكون المعنى: إن كفارة البزاق في المسجد دفنها فقط، دون غيره من الأفعال والأقوال كالاعتذار من ذلك، أو وضع شيء من غير التراب على البزاق، أو حكّ ها بالقدم كما يفعله بعض من لا ذوق له.

"**صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**"[١].

أفضل الخلق . صلى الله عليه وسلم، وجزاه الله عن أمته خير الجزاء . ما فتئ يدلنا على ما نرفع به درجاتنا يوم القيامة، ولكن لا يدلنا على الخير فقط، بل شأنه وعادته وديدنه حضنا وأمرنا بذلك، بتأكيد وتقوية الأخبار، وتحقيقها؛ فتقديمه صلاة الجماعة أكد به ذلك الفضل بقليل اللفظ، وهو من أكبر مزايا التقديم، ولا يخفى ما في التأكيد من الحض والحث على الالتزام بصلاة الجماعة.

"**الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي ليلة كفتاه**"[٢].

تقديم المبتدأ هنا أفاد تأكيد وتقرير وتقوية كفاية قراءة الآيتين.والتأكيد أفاد الحث والحض على قراءتهما، وممَّا يأخذ بيد هذا قول مسلم في ترجمة الباب:" باب. .. والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة".[٣] ولا مانع من أن التقديم للتعظيم؛ لأن الغاية من التعظيم على القول به هي نفسها الغاية من التأكيد.

" **الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**"[٤].

تقديم الميت أكد وقوَّى عذاب الميت في قبره بما نيح عليه، ثم إن الداعي للتأكيد زجر أهل الميت، وتحريك مشاعر الرقة، والعطف، والرحمة على الميت في قلوب أهله؛ لأنهم إذا علموا أن فقيدهم يعذب ببكائهم عليه انزجروا، وكفوا، ولكن لما

---

(١) الحديث رقم(٣٨١).
(٢) الحديث رقم(٤٦٥).
(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، حديث رقم (٨٠٧).
(٤) الحديث رقم(٥٣٤).

كان الجزع على الميت أمر مستقر في سوس النفوس، وكذا مايتبعه من النياحة، أكد المصطفى (ﷺ) هذا المعني ليكون أدعي للكف.

**"حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: ضحى خال لي، يقال له أبو بُرْدَةَ (رضي الله عنه)قبل الصلاة، فقال له رسول الله (ﷺ) شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ[1] فقال: يا رسول الله، إن عندي داجناً جذعة من المعز. قال:" اذبحها، ولن تصلح لغيرك. ثم قال: من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه، وأصاب سنة المسلمين"** [2]. قُـدِّم المبتـدأ هنا ليرسخ حكم كون هذه الشاة شاة لحم في ذهن أبي بُرْدَةَ؛ فأبو بُرْدَة (رضي الله عنه) لمَّا ذبح قبل الصلاة، أراد أن يعلم حكم ذبحه[3]، فَقُدِّمَ المبتدأ. لتقوية الحكم وتقريره في ذهن أبي بردة.

(1) قال محمد فؤاد عبد الباقي:" واستشكلت هذه الإضافة . .. وأجيب بأن الإضافة بتقدير محذوف،أي شاة طعام لحم". اللؤلؤ والمرجان، ج ٣ ص ٣.
(2) الحديث رقم (١٢٨١)
(3) صحيح البخاري، كتاب الأضاحي، باب قول النبي (ﷺ) لأبيرُبْدَة ضح بالْجَذَع من الْمَعَز ولن تجزي عن أحد بعدك، حديث رقم (٥٥٥٦)، صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب وقتها، حديث رقم (١٩٦١).

## المطلب الثاني: التخصيص

**حديث أبي هريرة (ﷺ) قال أُتِي رسول الله(ﷺ) بلحم، فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال:"أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الناسُ الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناسَ من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون؛ فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن أكل الشجرة فعصيته، نفسي ! نفسي ! نفسي ! اذهبوا إلى نوح) وهكذا يذهبون إلى الأنبياء واحداً تلو الآخر حتى يأتونه (ﷺ) فيشفع لهم [1].**

فالرسول (ﷺ) يخبرنا أنه هو هو دون سائر الأنبياء والمرسلين، سيد للناس في ذلك اليوم العظيم، فالتقديم أفاد تخصيص انفراده (ﷺ) بتلك الدرجة الرفيعة؛ وما ذاك إلا لأن المرسلين وأولي العزم يقول كل واحد منهم: نفسي! نفسي! نفسي ! إلا رسول الله (ﷺ) يقول: أمتي أمتي يارب!.

**" .. فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَيَقُولُونَ:يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ. .."[2].**

هذا الكلام سيقوله الناس يوم القيامة، وقد دنت الشمس من رؤوسهم فيبلغ منهم الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون، فيأتونه (ﷺ)، فيمدحونه (ﷺ) ويعدون مناقبه . كما فعلوا مع غيره .فيقولون: أنت الذي خصاك الله برسالته. فتقديم الضمير أفاد التخصيص؛ تبيان هذا أن الله أرسل رسلاً كثيرين، ولكن لما كانت رسالته (ﷺ)عامة لكل الخلق، شاملة للثقلين، بخلاف غيره من الرسل، صار كأنه المرسل الوحيد من قبل الله تعالى؛ لذا فكأنهم بقولون: يا محمد أنت أولى الناس بالشفاعة لدى الله .

---

[1]) الحديث رقم (١٢٠).
[2]) الحديث رقم (١٢٠).

سبحانه وتعالى . في هذا اليوم العصيب. أما قولهم: وخاتم النبيين، فالكلام هنا على أصله، فالتقديم أيضاً أفاد التخصيص؛ لأنه (ﷺ)حقاً وصدقاً خاتم النبيين. ثم إن في هذين الوصفين من المدح والثناء الذُّرُوة العليا.

"**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ والْأَرْضِ،وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ...**"(١).

الرسول (ﷺ) هنا في مقام التبتل والتذلل والتعبد والخضوع والأنس بمولاه (جل جلاله في علاه) فخص وقصر (ﷺ) الحق (عز وجل) بأنه منور السموات والأرض ومن فيهما، وهو وحده القائم بحفظها، وهو وحده المتكفل بإعانتها ورزقها.ثم إن التقديم مع القصر أفاد أمراً آخر، هو أن الذي هو ملء العين والقلب، وغاية النظر في ذلك الوقت، والمقصور عليه المشاهدة حينئذٍ هو الله، فناسب ذلك تقديم الضمير، وكذا الأمر في تقديم الجار والمجرور أفاد القصر، لكنه من باب تقديم المسند على المسند إليه.

" **نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ..**"(٢).

تقديم المبتدأ نص على أن المسلمين وحدهم انفردوا بأنهم آخر الأمم ميلاداً، بيد أنهم السابقون في دخول الجنة، دون سائر الأمم، فالاختصاص والتأكيد فهم من تقديم الضمير، ولا يخفى ما في هذا النص من الفرح، والفخر المعلى على الفخر باختصاص وفضل ورحمة الله لهم.

**حديث أبي ذر (رضي الله عنه)،قال:انتهيت إليه وهو يقول في ظل الكعبة:" هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَرَب الْكَعْبَةِ" قلت: ما شأني ؟ أَيُرَى فِي شيء ؟ ما شأني ؟ فجلست إليه وهو يقول، فما استطعت أن أسكت، وتغشاني ما شاء الله، فقلت: من هم ؟ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! قال:" الأكثرون أموالاً ! إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا"**(٣).

تقديم الضمير (هم) هنا أفاد أن الخسرانَ والخزيَ اللذين ليس بعدهما خسرانٌ،

---

(١) الحديث رقم (٤٤٠).
(٢) الحديث رقم (٤٩٦).
(٣) الحديث رقم (٥٧٥) .

وخزيٌ، ودائرةَ السوء يوم القيامة، إنما يكون مقصوراً على الأكثرين أموالاً فقط، دون سائر الأمة إلا من أنفق يميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً. (١) فهمت كلّ هذا التخصيص والقصر من تقديم الضمير. فالتقديم أفاد مع القَصْر الإيجازَ والاختصارَ مع أن المعني هو هو؛ لذا قال جار الله الزمخشري في قوله تعالي: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ (٢). قال(رحمه الله): " لا ترى أحداً أبين خسراناً منهم" (٣).

**قدم النبي (ﷺ) المدينة، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال:ما هذا ؟ قالوا:هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. قال: فأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ"(٤).**

النبي (ﷺ) هنا يرد على اليهود، أنه هو وحده دون اليهود أولى وأحق بالفرح بنجاة سيدنا موسى . على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام . وبني إسرائيل منهم. (٥) فقدم المبتدأ لهذا الاختصاص، وأخر الخبر (أحق)؛ لأن تقديمه لا يفيد المعنى المراد وهو الاختصاص. ثم إن في الاختصاص نكتة لطيفة،وهي بطلان وفساد وضلال دين اليهود؛ لأنه إن كان(ﷺ) أحق وأولى بسيدنا موسى . على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وهو(ﷺ) بريء منهم إذاً كليم الله من باب أولى به(ﷺ) بريء منهم. كيف لا و الإسلام مهيمن على كل الديانات السماوية السابقة له !

**" حديث عائشة (رضي الله عنها)، قالت:قلت: يا رسول الله، يستأمر النساء في أبضاعهن ؟**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كان يمين النبي(ﷺ)، حديث رقم (٦٦٣٨)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، حديث رقم (٩٩٠).

(٢) سورة هود، الآية: ٢١، ٢٢.

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،لجار الله محمود بن عمر الزمخشري(٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ)، مطبعة دار الفكر، ١٩٨٣م، ١٤٠٣هـ، ج٢ ص ٢٦٤ .

(٤) الحديث رقم (٦٩٢).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صيام عاشوراء، حديث رقم (٢٠٠٤)، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، حديث رقم (١١٣٠).

**قال: نعم. قلت:فإن البكر تستأمر فتستحي فتسكت. قال:سُكَاتُهَا إِذْنُهَا**"[١].

قدم المبتدأ لقصر وتخصيص الإذن على السكوت؛فالبكر تستحيي أن ترد باللفظ أو الإشارة على قبولها الزواج،لذا سألت أمُّ المؤمنين(رضي الله عنه) رسول الله(ﷺ)عن كيفية رد البكر التي استأمرت في نكاحها؛لأنها تستحيي[٢]. قال النواوي:" وظاهره العموم في كل بكر وكل ولي،أن سكوتها يكفي مطلقاً"[٣].

"**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**"[٤].

قال في المنهاج:" قال أهل اللغة: الفَرَطُ (بفتح الفاء والراء) والفارط: هو الذي يتقدم الوُرَّادَ ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من أمور الاستقاء فمعنى فرطكم على الحوض سابقكم إليه كالمهيء له"[٥]. والظاهر أن التخصيص بتقديم الضمير كان من أجل التعجيل بالمسرة لقلوب أصحابه .رضوان الله عنهم .لما في تقدمه(ﷺ) من البشارة بالأمان والفوز والسعادة؛ لكمال شفقته بأمته(ﷺ) قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٦]

---

([١]) الحديث رقم (٨٩٦).

([٢]) صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب لا يجوز نكاح المكره، حديث رقم (٩٦٤٦)، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت، حديث رقم (١٤٢٠).

([٣]) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي(٦٣١ ـ ٦٧٦) ، تحقيق عصام الصبابيطي، وحازم محمد، وعماد عامر، مطبعة دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م. ج ٥ ص ٢٢١.

([٤]) الحديث رقم (١٤٧٥).

([٥]) المنهاج، مجلد ٥ ج ١٥ ص ٦٥.

([٦]) سورة التوبة: ١٢٨.

## المطلب الثالث: التشويق إلى ذكر المسند

" **آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ**"[١]. قـــدم المبتدأ؛ لأن الذي رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد (ﷺ) نبياً ورسولاً إذ يسمع قوله:"آيَةُ الْإِيمَانِ" يتشوف ويترقب بتشوق إلى معرفة آية إيمانه،والدليلِ على تمكن الإسلام في نفسه، والسمة على دخوله حظيرة الإيمان أو خروجه منها. فإذا قيل له:هي حب الأنصار، تمكن ذلك المعنى في نفسه، واستقرّ في سوسها، استقراراً بادر به وسارع إلى حبهم. ثم إن المبتدأ هو محط الأنظار، والمقصود، والذي يهمنا ويعنينا أن نعرف حقيقته، وكنهه؛ لذا ناسب أن يذكر متقدماً.

" **الّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**"[٢].

سيدنا رسول الله (ﷺ) أكد وقرر، ونفى الشبهة، ومنع الشك، وكان كلامه أدخل في تحقيق أن من فاتته صلاة العصر، كمن سلب منه أهله وماله، وترك فرداً منهما، فبقي بلا أهل ولا مال. فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله. وهذا المعنى لا يكون هو بعينه لو قيل: كأنما وتر الذي تفوته صلاة العصر أهله وماله، أو لو قيل: كأنما وتر أهله وماله الذي تفوته صلاة العصر. لما في هذه العبارة من التشويق للخبر، باستعمال الإخبار (بالذي)، الذي سيرد عنه الكلام لاحقاً.

"**شَهْرَانِ لَا يَنْقُصَانِ شَهْرَا عِيدٍ رَمَضَانُ وَذُو الْحِجَّةِ**"[٣].

قال النووي:" الأصح أن معناه لا ينقص أجرهما،والثواب المترتب عليهما، وإن نقص عددهما". [٤] وقال ابن حجر العسقلاني:" وفائدة الحديث رفع ما يقع في القلوب من شك لمن صام تسعاً وعشرين أو وقف في غير يوم عرفة".[٥] هذا بالنسبة لمعنى الحديث، أمَّا بالنسبة لنظمه فالظاهر لي أن تقديم المسند إليه كان الغرض منه التشويق إلى معرفة الخبر،حتى يرسخ صحة صيام من صام تسعاً وعشرين، أو وقف في غير

---

(١) الحديث رقم (٤٧).
(٢) الحديث رقم (٣٦٤).
(٣) الحديث رقم(٦٥٩).
(٤)المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي(٦٣١ ـ ٦٧٦) ، تحقيق عصام الصبابيطي،وحازم محمد،وعماد عامر،مطبعة دار الحديث،القاهرة، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م،ج٣، ١٩٨.
(٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن أحمد بن حجر العسقلاني(٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وعبد العزيز بن باز، دار مصر للطباعة، مصر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج ٤، ص ١٨١.

عرفة.

" **أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)،وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً،ويفطر يوماً**"[١].

قدم المبتدأ . وفيه تشويق . لأن المراد . والله أعلم . بيان ماهية أفضل وأعظم وأحب الصلاة إلى الله؛ حتى يحرص المؤمن المسارع إلى مرضاة ربه لأفضل القربات في الإسلام على الوجه الذي يحبه الله، وأخر الخبر ليتمكن في ذهن السامع. ولا يخفى مدى الترغيب في هذه الصلاة بإضافتها إلى سيدنا داود . على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

" **أَحَقُّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ**" [٢].

أخرج الخبر . أي الجملة الاسمية كلها . هذا المخرج ليتمكن الخبر في ذهن السامع، فيبادر مسرعاً إلى الوفاء بهذه الشروط؛ لأن بدء الكلام بأحق الشروط أن توفوا به، يشوق النفس لتعلم ما هو ؟. قال أبو يعقوب السكاكي عند ذكره موطن تقديم المسند حالة كونه فيه نوع من التشويق إلى ذكر المسند إليه:" وحق هذا الاعتبار تطويل الكلام في المسند وإلا لم يحسن ذلك الحسن"[٣]. بناء على هذا لاحظت أن المواضع التي فيها تشويق إلى ذكر المسند في مواضع تقديم المسند إليه على المسند فيها طول كذلك، مثال ذلك المثال الذي أورده الخطيب[٤]، والسيوطي [٥]، والشيخ أحمد الدمنهوري[٦] وغيرهم، وهو قول الشاعر أبي العلاء المعري (من الخفيف):

وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِيَّةُ فِيهِ ❖❖❖ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَاد [٧]

"**الَّذِي يَشْرَبُ فِي إِنَاءِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**"[١].

---

([١]) الحديث رقم (٧٢٠).
([٢]) الحديث رقم (٨٩٤).
([٣]) مفتاح العلوم،لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي(ت ٦٢٦)،مطبعةمصطفى البابي الحلبي، مصر ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، ص ١٢٤.
([٤]) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب جلال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ت(٧٣٩هـ)، مطبعة دار السرور، بيروت، دون تاريخ، ج١، ٣٩٢.
([٥]) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال بن محمد بن سابق ابن همام الدين الخضيري السيوطي(٨٤٩ ـ ٩١١ هـ)،مطبعة مصطفى= البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م، ص ٢٣ .
([٦]) اللب المصون على الجوهر المكنون، للشيخ أحمد الدمنهوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م، ص ٦٨.
([٧]) ديوان أبي العلاء المعري.

قال في مفتاح العلوم عن التقديم لتمكن الخبر في ذهن السامع:" وهو أحد خواص التراكيب في التقديم في باب الذي"(٢). والقياس على هذا يقتضي أن يكون تقديم المبتدأ في هذا النص الشريف ليتمكن الخبر وما فيه من الصورة البشعة المخيفة الباعثة على الرهبة والخوف من تلك الحالة ليحذر المؤمن حذراً شديداً، تزداد شدته باستحضار العذاب الأليم الذي ينتظر من يشرب في آنية الفضة، لما فيه من السرف والخيلاء، أو كسر قلوب الفقراء، وقيل غير ذلك(٣).

" **السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أو القائمِ الليل الصائمِ النهار**"(٤).

قال ابن حجر:" معنى الساعي الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفع الأرملة والمسكين (٥). وقال: وقوله:"**السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ**": أي الساعي في مصالحهما"(٦). فالذي ظهر لي أن تقديم المبتدأ كان لأنه هو الأهم، ووجه ذلك أن المراد من الحديث الحث على القيام بشؤون الأرملة والمسكين، وكَفالتِهما؛ لضعفهما، واحتياجهما أبداً للرعاية والاهتمام. إذاً يقتضي هذا تعظيم الساعي أولاً، ثم ذكر فضله ثانياً. ولا مانع من أن يكون التقديم لتعظيم قدر الساعي على الأرملة والمسكين، لاسيما إن قلنا:إن التعظيم كان لأن في السعي ذكر الأجر والثواب والدرجة الرفيعة لمن يكفلهما، وهي درجة ليس فوقها درجة.

---

(١) الحديث رقم (١٣٣٧).
(٢) مفتاح العلوم، ص ١٠٩.
(٣) فتح الباري، ج ١٠ ص ١٣٩.
(٤) الحديث رقم(١٨٧٨).
(٥) فتح الباري، ج ٩ ص ٥٥٨.
(٦) فتح الباري، ج ١٠ ص ٦١٧.

**المطلب الرابع: التقديم لأنه الأصل**

**حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رجلاً سأل رسول الله (ﷺ) عن صلاة الليل فقال رسول الله (ﷺ): "صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فإذا خشي أحدكم الصبح، صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى"[(١)].**

قدم المبتدأ (صَلَاةُ اللَّيْلِ) لأن الذي يهمنا ويعنينا شأنه ما هيئة صلاة الليل، وكيف هي صورتها ؟ ويدل على ذلك أن كلامه هذا (ﷺ) إنما هو جواب سائلٍ عن صلاة الليل [(٢)]. فلما قيل: مثنى مثنى. تمكن ذلك في نفس السامع، واستقر عنده أن صلاة الليل يكون السلام فيها من كل ركعتين.كذا قال ابن حجر[(٣)]ولا مانع من أن يكون الغرض من التقديم التعظيم؛ لا سيما أن صلاة الليل طريق الولاية.

**دعا النبي (ﷺ)الأنصار فقال:" هل فيكم أحد من غيركم؟" قالوا:لا،إلا ابن أخت لنا. فقال النبي (ﷺ):"ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ"[(٤)].**

قال النووي:"المراد أنه كالواحد منهم في إفشاء سرهم بحضرته".[(٥)] فقدم المبتدأ إذ هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، والأصل في المحكوم عليه التقديم كما هو معلوم [(٦)]. ولا يخفى أن المراد الإخبار عنه.

**" لما دخل النبي(ﷺ) البيت[(٧)] دعا في نواحيه كلها، ولم يصلِّ حتى خرج منه؛ فلما خرج ركع ركعتين في قُبُلِ الكعبة، وقال: "هَذِهِ الْقِبْلَةُ"[(٨)].**

الظاهر لي أن المهم والذي يعنينا بيان مكان القبلة، لا القبلة في نفسها؛ لذا أخر الخبر (القبلة) إذاً التقديم هو الأصل، وإنما كان مهماً حتى يلزم الناس استقبال هذا المكان.

---

([1]) الحديث رقم (٤٣٢).

(2)صحيح البخاري، كتاب الوتر، باب ما جاء في الوتر، حديث رقم (٩٩٠)، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، حديث رقم (٧٤٩).

(3) فتح الباري، ج٢ ص ٦٨١.

([٤]) الحديث رقم (٦٣٣).

([٥]) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ج ٤، ص ١٦٨.

([٦]) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي، ص ٢٣ .

([٧]) المقصود بالبيت الكعبة المشرفة.

([٨]) الحديث رقم (٨٣٩).

" **مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ**"(١).

قال صاحب الفتح:" قوله:" مَطْلُ الْغَنِيِّ" هو من إضافة المصدر للفاعل عند الجمهور. والمعنى أنه يحرم على الغني القادر أن يمطل بالدين بعد استحقاقه بخلاف العاجز" (٢). وقال محمد فؤاد:" ولفظ المطل يشعر بتقدم الطلب"(٣). استناداً على هذا أقول قدم المبتدأ . والله أعلم . في المقام الذي قدم فيه في الحديث لأنه الأصل، والمراد بيانه، والحكم عليه ٠ هذا وقد قال ابن حجر:" قوله:" مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ"، وفي رواية:" الْمَطْلُ ظُلْمُ الْغَنِيِّ". والمعنى . أي على الرواية الأخيرة . أنه من الظلم، وأطلق ذلك للمبالغة في التنفير عن المطل"(٤). قلت: هذا الشرح والتفسير والتحليل من ابن حجر بناء على أن الغرض من التقديم هنا كان من أجل القصر والتخصيص.

"**الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمَحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**"(٥).

ذكر العلامة أحمد الدمنهوري في شرحه على منظومة الجوهر المكنون:" إن من أغراض تقديم المبتدأ تقديمَه لأنه الأصل، ولابد من تحققه قبل الحكم. فقصدوا أن يكون في الذكر أيضاً مقدماً، ولا مقتضى للعدول عنه" (٦). بناء على ذلك فالحلف قدم هنا . والله أعلم . حتى يتنبه السامع للحكم الذي ينبني على اليمين. قال ابن حجر:" فأوضح الحديث أن الحلف الكاذب وإن زاد فإنه يمحق البركة" (٧).

"**الْحَرْبُ خُدْعَةٌ**" (٨).

قدم المبتدأ لأنه هو الأهم إذ تقديمه هو الأصل، إذ الحديث عن الحرب المفيدة التي من ورائها النصر، وممّا يؤيد هذا قول ابن حجر:"معنى الحرب خدعة أي الحرب الجيدة لصاحبها،الكاملة في مقصودها إنما هي المخادعة لا المواجهة؛وذلك لخطر المواجه وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر"(٩).

---

(١) الحديث رقم(١٠٠٨).
(٢) فتح الباري، ج ٤ ص ٦٦٤.
(٣) اللؤلؤ والمرجان، ج ٢ ص ١٤٧.
(٤) فتح الباري، ج ٤ ص ٦٦٣.
(٥) الحديث رقم(١٠٣٥).
(٦)الجوهر المكنون، ص ٦٨
(٧) فتح الباري، ج ٤ ص ٤٤٩.
(٨) الحديث رقم (١١٣٤).
(٩) فتح الباري.

" **حديث أبي موسى عبد الله بن قيس(رضي الله عنه) قال: قيل للنبي (ﷺ): الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم. قال: " الْمَرْءُ مَعْ مَنْ أَحَبَّ "[1].**

قدم المبتدأ . والله أعلم . لأنه الأصل. إذ المراد الحكم ومجرد الإخبار عن المرء بمعيته مع محبوبه، وليس المراد القصر الذي يكون لو قدم الخبر.

---

([1]) الحديث رقم (١٦٩٤).

**المطلب الخامس: التعظيم**

"**الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنْ الْيَدِ السَّفْلَى،وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر الغنى، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله**[1]".

قدم المبتدأ عناية واهتماماً به، فالمراد من هذا النص بيان فضيلة اليد العليا، والحث على الإنفاق في وجوه الطاعات، فقدم المبتدأ وأخر الخبر لتعظيم اليد العليا والتنويه بخيريتها، ودنوَّ وحطة اليد السفلى.

"حَدِيثُ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللّهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا ؟ قَالَ:" نَعَمْ" قَالَ:" فَدَيْنُ اللّهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى"** [2].

اعلم . أولاً. أن المراد في قوله:" فَدَيْنُ اللهِ" هو الصوم،وإنما لم يقل:الصوم، لتعظيمه؛ إذ هو حق لله تعالى،إذاً المراد من تقديم المبتدأ تعظيمه،ومما يأخذ بيد هذا إضافة الدين لله تبارك وتعالى. ثم إن في تقديمه حض وحث وإعجال بأداء الصوم عن الميت،وتخويف من ترك أدائه،أو التهاون والتماطل في قضائه.

" حديث البراء بن عازب (ﷺ)، وسأله رجل:أكنتم فررتم يا أبا عمارة يوم حنين ؟ قال: لا والله ! ما ولى رسول الله (ﷺ)، ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم حسراً ليس بسلاح، فأتوا قوماً رماة، جمع هوازن وبني نَضْرٍ ما يكاد يسقط لهم سهمٌ،فرشقوهم رشقاً ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هنالك إلى النبي (ﷺ) وهو على بغلته البيضاء،وابن عمه أبو سفيان بنُ الحرث بن عبد المطلب يقود به؛ فنزل واستنصر،ثم قال:أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عبد المطلب.ثم صف أصحابه" [3].

هذا الحديث قاله رسول الله (ﷺ) في غزوة حنين حين فر شبان أصحابه وأخفاؤهم حين رُموا بالسهام، قال ابن حجر:" كأنه قال: أنا النبي والنبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنْهَزِمَ، وأنا متيقن بأن الذي وعدني الله به من النصر

---

(1) الحديث رقم (٦١٣).
(2) الحديث رقم (٧٠٥)
(3) الحديث رقم(١١٦٣)

حق، فلا يجوز عليَّ الفرار"[١]. ففهمت من هذا أن تقديم المبتدأ كان من أجل تعظيمه ذاته الشريفة المعظمة.

" **الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**" [٢].

الظاهر لي أن تقديم الخيل كان من أجل تعظيمها وتفضيلها وبيان رفعة الخيل.قال ابن حجر:" وفيه إشارة إلى أن المال الذي يكتسب باتخاذ الخيل من خير وجوه الأموال وأطيبها" [٣]. ثم قال ابن حجر بعدُ:" فيه إشارة إلى تفضيل الخيل على غيرها من الدواب"[٤].[٥] وهذا لا يكون لو قيل: الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة، أو لو قيل: الخير إلى يوم القيامة في نواصي الخيل،أو غير ذلك.

"**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**" [٦].

الحق أن الحديث عن فضائل ومناقب ومآثر أم المؤمنين، أم عبد الله، الصديقة بنت الصديق عائشة (رضي الله عنها). فلما كان ذلك كذلك وجب تقديم المبتدأ، لما فيه من العناية والاهتمام المتمثلان في التعظيم لمكانة السيدة عائشة(رضي الله عنها). ثم لا يخفى مكان روعة التشبيه.

" **مَابَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ**" [٧].

المراد . عندي . تبيين فضل هذا المكان، والتنويه بشأنه، ورفعته؛ فقد قال محمد فؤاد:" لم يثبت خبر عن بقعة أنها من الجنة بخصوصها إلا هذه البقعة المقدسة" [٨]. قال ابن حجر:". .. أو هو على ظاهره، وأن المراد أنه روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة"[٩]. إذاً المراد تعظيم هذه البقعة المباركة المقدسة. وقد يكون الغرض التشويق إلى ذكر المسند، ولكن نفسي تسكن إلى الغرض الأول.

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ج ٧، ص ٧٨٢.
(٢) الحديث رقم(١٢٢٦).
(٣) فتح الباري، ج ٦، ص٨٠.
(٤) الحديث رقم (٦١٣).
(٥) فتح الباري، ج ٦ ص ٨٠.
(٦) الحديث رقم (١٥٨٨).
(٧) الحديث رقم (٨٧٨).
(٨) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان،لمحمد فؤاد عبد الباقي،مطبعة دار الفكر،دون تاريخ،ج٢ص ٨٦
(٩) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج ٤ ص١٤٤.

**المطلب السادس: إيهام أنه لا يزول عن الخاطر**

**حديث أبي هريرة(رضي الله عنه) قال كان النبي(صلى الله عليه وسلم)بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال ما الإيمان؟قال:"الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَبِمَلَائِكَتِهِ،وَبِلِقَائِهِ وبرسله. .." .** (١)

قدم المبتدأ "الْإِيمَانُ" في هذا النص الشريف إيهاماً أنه لا يزول عن الخاطر وللتنويه برفعة شأنه،وأنه هو ملء الخاطر والقلب والعقل واللسان؛ تبيان هذا أن المؤمن الذي خالط الإيمان بشاشة قلبه، واستحكم في نفسه، ما أن يقع في سمعه قوله:"الْإِيمَانُ" حتى يتشوف ويتطلع إلى أن يعرف ماهيته، وحقيقته. فإذا عرف أنه أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ. .. الخ، استقر ذلك في نفسه استقراراً وخامر عقله وقلبه، وتمكن في أعماق نفسه؛ فسارع لاعتقاد ذلك، والعمل بموجب هذا الاعتقاد. وإنما قلنا إيهاماً، لأن عدم زواله عن الخاطر أمر غير ممكن عادةً، وتقديم المسند إليه إنما يدل على كون المذكور، وهو الإيمان، مطلوباً ومرغوباً فيه، لأن المرغوب من شأنه لا يزول عن التصور (٢).

وبذا أكون قد تناولت الأغراض التي وجدتها في تقديم المبتدأ، والحق أن هذه ليست كلَّ النصوص، ولكنها نماذج لكل غرض، ماعدا الغرضين الأخيرين فلم أجد لكل مثال منهما مثالاً آخر، وهناك أغراض ذكرها العلماء ولم أجدها في هذا الكتاب، كالتعجيل بالمسرة أو العكس،والتحقير، ونحو ذلك. ومجموع الأغراض التي وردت في هذا المبحث على النحو التالي: التأكيد وتقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع ، وهو أكثر الأغراض وروداً؛ لذا صدرت بها المباحث، ثم ثنيت بالتخصيص ، ثم تلوته بالتشويق ، ثم أعقبته بالغرض الذي هو التقديم لأنه الأصل ، ثم قفوته بالتعظيم ، ثم أتبعته بما الغرض فيه إيهام أنه لا يزول عن الخاطر وفيه نص واحد ، لم لأجد غيره، ثم ختمت أغراض هذا المبحث بالتقديم للتعجب من المبتدأ ، وأيضاً فيه نص واحد لم أجد سواه في هذا الكتاب. وسأناقش هذه الأغراض من حيث هذا الترتيبُ، ومن حيث

---

(١) حديث رقم (٥).
(٢) انظر مواهب الفتاح، ج ١، ص ٣٩٤.

صلةُ هذه الأغراض بالأغراض التي سترد في المبحث الثاني والثالث في ضوء أهداف البحث العامة.

## المبحث الثاني
## تقديم اسم إن

اسم إن من أنواع المسند إليه، والحق أن له أحكاماً نحوية خاصة به، جعلت تقديمه على المسند (خبر إنَّ) كاللازم ما لم يكن ظرفاً أو جاراً ومجروراً، فتقديمه لأنه الأصل كثير جداً، مما جعل دراستي له دون دراسة المبتدأ باعتبار عدد النصوص، وإن كانت النصوص التي ورد فيه هذا النوع من المسند إليه كثيرة، ولكنها تكاد تتفق في الغاية من إخراج الكلام في أسلوب التقديم والتأخير من حيث إثبات المعنى المراد إثباته. ولكن ـ أيضاً ـ يكثر وروده مقدماً على المسند لتقوية التأكيد؛ ولعل هذا كان لأمرين: دلالة إن على التأكيد باعتبار الوضع اللغوي، والأمر الثاني كون الخبر جملةً فعلية والاسم مقدم عليه. وهذا قد يعلل كثرة استعمال اسم إنَّ في الحديث الشريف؛ لأن التأكيد بأنواعه المختلفة أسلوب يكثر في الحديث النبوي الشريف،وهو ـ فيما أرى ـ أمر مقصود من رسول الله (ﷺ)، وسوف أبين العلة والسبب في ذلك في خاتمة البحث إن شاء الله تعالى. وقد أشرت ـ قبلُ ـ إلى أن العلماء (رحمهم الله) لم يوردوا له نماذج وأمثلة كما فعلوا مع المبتدأ، فالتحليل مع ما ورد في كل هذا المبحث من أمثلة يقوم على القياس والنظر إلى ما قالوه في المبتدأ.

### المطلب الأول: التأكيد وتقوية الحكم

**" حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: شهدنا مع رسول الله (ﷺ) خيبر، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام: "هذا من أهل النار". فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالاً شديداً فأصابته جِراحة، فقيل: يا رسول الله، الذي قلت: إنه من أهل النار فإنه قاتل اليوم قتالاً شديداً، وقد مات. فقال (ﷺ): "إلى النار". قال: فكاد بعض الصحابة أن يرتاب[1]. فبينما هم على ذلك إذ قيل: إنه لم يمت، ولكنِّ به جراحاً شديداً، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه؛ فأخبر النبي (ﷺ) بذلك، فقال: "الله أكبر! أشهد أني عبد**

---

(1) وفي هذا النص المبارك دخلت (أن) الناصبة على خبر كاد الفعل المضارع، وهو قليل.

**الله ورسوله". ثم أمر بلالاً فنادى في الناس:" إِنَّه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالْرَّجُلِ الْفَاجِرِ "** [١].

قدم المسند إليه (إن اللهَ) للتأكيد على معنى الخبر (لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالْرَّجُلِ الْفَاجِرِ)؛ لأن في الجملة شيء من الغرابة؛ حتى كاد بعض الصحابة يرتاب، كما ذكر ذلك سيدنا أبو هريرة (رضي الله عنه)؛ لذا أكد مضمون الحديث من ثلاثة وجوه،أنَّ، وتقديم المسند إليه ، واللام .

**" إذا استيقظ أحدكم من منامه ، فتوضأ فليستنثر ثلاثاً ؛ فإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ "** [٢].

قدم اسم إن لتقوية وتقرير وتأكيد مبيت الشيطان على خيشوم النائم، والغاية من التأكيد حض وحث المؤمن على الاستنثار ثلاثاً عند الاستيقاظ من النوم.

"إن الإيمان ليأرِز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها" [٣].

أَرَزَ يَأْرِزُ أَرْزَاً وَأُرُوزَاً: تقبض وتجمع وثبت. [٤] قال الجلال السيوطي:" معناه أن الإيمان أولاً وآخراً بهذه الصفة" [٥]. قلت الكلام هنا عن تأكيد اجتماع وانضمام وثبات الإيمان في المدينة المنورة، لا للتعريض ببلدة أخرى، وأن الإيمان فيها ليس كالإيمان في المدينة . وإن كان الأمر كذلك .. قال الإمام عبد القاهر:" وكذلك يكثر . أي تقديم الفاعل لإرادة التحقيق على السامع أن الفاعل فعل الفعل، ومنعِه من الشك في فعله ـ في المدح. ..، وذلك أن من شأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح، ويباعدهم من الشبهة" [٦].فلما كان الغرض مدح المدينة، وبيان فضلها، ومالها من الفضيلة والمنقبة، وما بها من المزية، وما فيها من الرفعة؛ أخرج الكلام هذا المخرج.

**"حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال لقيني رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأنا جنب فأخذ بيدي، فمشيت معه حتى قعد، فانسللت منه وأتيت الرحل فاغتسلت،ثم جئت وهو قاعد.**

---

(١) الحديث رقم (٧١).
(٢) الحديث رقم (١٣٨).
(٣) ا لحديث رقم(٨٩)
(٤)لسان العرب، لابي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي، دار صادر: بيروت، دون تاريخ، ج١، ص٨٥، مآدة أ ر ز
(٥) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي(٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) ، تحقيق أبو إسحاق الجويني الأثري،مطبعة دار ابن عفان،المملكة السعودية،١٤١٦هـ، ١٩٩٦م، ج١، ص٦٥.
(٦) دلائل الإعجاز، للإمام الجرجاني، ص ١٣٥.

**فقال:"أين كنت يا أباهر؟" فقلت له. فقال:" سُبْحَانَ اللهِ ! يا أبا هر، إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجُسُ"[1].**

قدم اسم إن لتأكيد وتقوية عدم نجاسة المؤمن، ولا مانع من أن يكون تقديم اسم إن لتعظيم المؤمن، ويأخذ بيد هذا تقديم لفظ (سبحان الله) التي محلها التعجب والتعظيم لله (تبارك وتعالى) عند رؤية عجيب وبديع صنعته[2]؛ ولعل الغاية من التعظيم أن يستشعر المؤمن عظيم وعميم وجليل فضل الله عليه.

**" حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: لما ثَقُلَ رسول الله (ﷺ) جاء بلال يُؤْذِنُه بالصلاة فقال:" مروا أبا بكر أن يصلي بالناس!"، فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف[3]، وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر! فقال: مروا أبا بكر يصلي[4] بالناس!" فقلت لحفصة: قولي له:إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر. قال:" إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ. مروا أبا بكر أن يصلي بالناس" [5] [6].**

قال العلامة عبد الله بن عقيل:" يلزم تقديم الاسم في هذا الباب . أي باب إن وأخواتها، وتأخير الخبر، إلا إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً فإنه لا يلزم تأخيره"[7]. لذا وجب تقديم الضمير في هذا النص الشريف، ولكن التقديم مع هذا أفاد التوبيخ والتقريع الشديد للسيدة عائشة (رضي الله عنها). لذا قال العلامة ابن حجر (رحمه الله):" صواحب جمع صاحبة، والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن. ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد وهي عائشة فقط، كما أن"صواحب" صيغة جمع والمراد زَلِيخَا فقط. ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة،ومرادها، زيادة على ذلك، أن يَنْظُرْنَ إلى حسن يوسف ويَعْذِرْنَها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سببَ

---

(1) الحديث رقم (٢١٠).

(2) تاج العروس من جواهر القاموس لمحبي الدين ابي الفيض محمد بن محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، مطبعة دار صادر: بيروت، دون تاريخ ، ج٢/ ص١٥٧، مآدة س ب ح.

(3) وفي هذا النص المبارك دخلت (أن) الناصبة على خبر كاد الفعل المضارع، وهو قليل.

(4) دلائل الإعجاز، للإمام الجرجاني، ص ١٣٥.

(5) وفي هذا النص المبارك دخلت (أن) الناصبة على خبر كاد الفعل المضارع، وهو قليل.

(6) الحديث رقم (٢٣٩).

(7) شرح عبد الله بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عقيل القرشي الهاشمي العقيلي على ألفية ابن مالك، (٦٩٨هـ - ٧٦٩هـ) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة مكتبة دار التراث: القاهرة، ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥م، ج١، ص٢٨٢ ـ٢٨٣.

صرف الإمامة عن أبيها كونُهُ لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه،ومرادها زيادةٌ على ذلك، وهو أن لا يتشاءم الناس به[١]".

"حديث عائشة (رضي الله عنها) قلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال:"يا عائشة، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي" [٢].

الرسول(ﷺ) يؤكد للسيدة عائشة(رضوان الله عنها) أن عينه تنام ولكن قلبه لا ينام،وإنما أكد الخبر لما فيه من مخالفة المعتاد والخروج عن المألوف،إذ هي من عموم معجزاته(ﷺ)؛ لذا قال النووي (رحمه الله):"هذا من خصائص الأنبياء . صلوات الله وسلامه عليهم ."[٣]. فالغرض الذي ظهر لي من التقديم التأكيدُ والتحقيقُ على السامع أن عينيه تنامان ولا ينام قلبه. فإن قلت: النبي (ﷺ)أكد نوم عينيه ولم يؤكد نوم قلبه. قلت:حاصل الأمر أن رسول الله (ﷺ)أكد نوم عينيه بطريقين:أولهما:الجملة الاسمية،التي تقدم فيها الفاعل على الفعل. وتقدمه يفيد التأكيد كما هو معلوم[٤].وثانيهما:دخول (إن)الموضوعة للتأكيد.أما الجملة الثانية فهي مؤكدة بإنَّ وحدها، وهذا معلوم من واو العطف.وإنما جيء بالكلام على هذا المنحى لأن الشك الداعي للتأكيد والموجب للتحقيق زال لما أكد صدر الكلام،فلما جاء عجزه وجد القلب خالياً من الإنكار والشك فاقتضى هذا أن يكون ذكره خالياً من التأكيد بأكثر من أداة.

" إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، ولكنهما آيتان من آيات الله، فإذا رأيتموهما فقوموا فصلوا"[٥].

قدم اسم إن هنا لتأكيد وتقوية وتقرير عدم انكساف الشمس والقمر لموت أحد. والذي ظهر لي أن الداعي لاستعمال التأكيد كان من أجل أن الناس قالوا:كسفت الشمس لموت إبراهيم ابن سيدنا رسول الله (ﷺ) كما جاء في حديث آخر رواه البخاري[٦]، وهذا مما كانت تدين به الجاهلية [٧].إذاً هم ينكرون بلسان الحال أن الشمس تنكسف لغير ذلك، فاقتضى ذلك ذلكم التأكيدَ الذي ذُكِرَ.

---

(١) فتح الباري، ج ٢ ص ٢١٨

(٢) الحديث رقم (٤٢٦)

(٣) المنهاج، ج٣ ص ٢٧٧.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٣٣. .

(٥) الحديث رقم(٥٢٧).

(٦) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، حديث رقم (١٠٤٣).

(٧) فتح الباري، ج ٢ ص ٧٥٠.

**"حديث عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي(ﷺ)أن رسول الله(ﷺ)كان عندها، وأنها سمعت صوت رجل يستأذن في بيت حفصة.قالت عائشة:فقلت:يا رسول الله، هذا رجل يستأذن في بيتك، قالت:فقال رسول الله(ﷺ):" أراه فلاناً" (لعم حفصة من الرضاعة)،فقالت عائشة:لو كان فلانٌ حياً(لعمها من الرضاعة)دخل علي؟فقال رسول الله(ﷺ):"نعم،إِنَّ الرَّضَاعَةَ تُحَرِّمُ مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ"(١).**

قدم اسم إن لتقوية التأكيد والتقرير في تحريم الرضاعة ما يحرم من الولادة، وقلت: الظاهر أنه لم يكتفِ بالجملة الاسمية وجيء بأنَّ؛ لأن السيدة عائشة (رضي الله عنها) كأنها تعجبت من ذلك، فجاء رسول الله (ﷺ) بالكلام على هذا المنحى، ولا يخفى أن في التعجب ضرباً من عدم التيقن والاطمئنان بادئ ذي بدء. يُوجِبُ التأكيد بحسبه قوة وضعفاً.

**" حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)،أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول عام الفتح، وهو بمكة:" إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامَ"(٢).**

تقديم اسم إن على خبره الفعلي كان لتقوية التأكيد في تحريم الله ورسوله لبيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، والتأكيد يظهر في وجوه:

الأول- قوله (ﷺ):"إن الله ورسوله".فلم يكتفِ بالله وحده، أو برسوله (ﷺ) وحده، وإنما جمع بينهما.

الثاني – مع أن الجملة الاسمية أفادت التأكيد،فقد أدخل عليها(إنَّ)الموضوعة للتأكيد

الثالث – استعمل (ﷺ) الفعل الماضي، ولم يقل: يحرم.

والداعي لكل هذا التأكيد على التحذيرِ والوعيدِ الشديدين للناس لئلا يفعلوا هذه المحرمات؛ لأن العرب كانت تستحل هذه الأشياءَ، وتفتخر بفعلها.

**" إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ"(٣).** الحق أن مخالفة اليهود والنصارى مما حث عليها الدين الإسلامي، ودعا إليها في غير ما موضع. لذا أرى أن تقديم اسم إنَّ كان من أجل التأكيد على عدم صبغ اليهود

---

(١) الحديث رقم (٩١٦).
(٢) الحديث رقم (١٠١٨).
(٣) الحديث رقم (١٣٦٢).

والنصارى؛  حتى يتأكد وجوب مخالفتهم.

## المطلب الثاني: تقديمه لأنه الأصل

**"حديث أبي سعيد الخدري(رضي الله عنها)، أن رسول الله (ﷺ) أرسل إلى رجل من الأنصار فجاء ورأسه يقطر؛ فقال النبي (ﷺ): لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ" فقال: نعم. فقال رسول الله (ﷺ): " إذا أعجلت أو قُحِطْتَ فعليك الوضوء"(١).**

قدم اسم لعلَّ لأن تقديمه هو الأصل، إذ هو محكوم عليه بأن العجلة للمرسل إليه منه (ﷺ) ثم إن التركيب النحوي يمنع تقديم الخبر(٢). وفي خروج الكلام هذا المخرج اعتذار لطيف منه (ﷺ) على إعجاله الأنصاري(٣)، ومما يدل على هذا قول ابن حجر في قوله:" لَعَلَّنَا أَعْجَلْنَاكَ": أي عن فراغ حاجتك من الجماع" (٤).

"سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛فإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ" (٥).

هذا الحديث أورده الإمام مسلم في باب تسوية الصفوف وإقامتها،ضمن بضعة عشر حديثاً في هذا الباب،وأورده البخاري في باب إقامة الصف من تمام الصلاة، وهو أحد حديثين في هذا الباب.إذاً الكلام عن تسوية الصفوف وإقامتها والحثِّ عليها(٦).فقدم اسم إنَّ لأنه الأصل،والأهم،والذي القلب ببيانه أعنى، والمراد الحديث والإخبار عنه. ومما يدل على هذا الجزء الأول من الحديث الشريف.

**" إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة؛ فإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ" (٧).**

قدم اسم إن لأن الكلام عن شدة الحر؛إذ المطلوب بيان اتصاف شدة الحر بالخبر، فلما قيل:"مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ"، استقر ذلك في النفس استقراراً يجعل المسلم يتقي الصلاة في هذا الفيح، وهو المراد والغاية من هذا الخبر؛ لأن الجملة التي فيها محل

---

(١) الحديث رقم (١٩٦).
(٢) شرح ابن عقيل، ج٢، ص٢٨٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب من لم ير الوضوء من المخرجين، حديث رقم (١٨٠)، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب إنما الماء من الماء، حديث رقم (٣٤٥).
(٤) فتح الباري، ج ٣ ص ٤١٤.
(٥) حديث رقم (٢٤٨)
(٦) الحديث رقم(٣٥٧)
(٧) الحديث رقم (١٩٦).

شاهدنا كانت علة لما قبلها.

**" إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلا من أعطاه الله خيراً فنفح فيه عن يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً "[1].**

قدم المبتدأ لأنه الأصل، وهو الأهم، والحديث عنه، والكلام فيه. إذ الغاية الإخبار عن المكثرين، والكشف عن سوء عاقبتهم، وبيان سيئ معادهم، وقبيح مآلهم. فلزم من هذا تقديم ذكرهم، والابتداء باسمهم، والتصدير بهم.

**"حديث ابن عمر(رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (ﷺ)، وهو مستقبل المشرق، يقول:" أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ "[2].**

قدم اسم إن لأنه محكوم عليه بأنه قبل المشرق، فناسب ذلك أن يكون مقدماً في الذكر. وباعتبار آخر تقديمه هو الأصل؛ أي أن المراد الحديث عنه.

---

(1) الحديث رقم (٥٧٨).
(2) الحديث رقم (١٨٤٠).

**المطلب الثالث: التعظيم**

**" إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابَاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ"**(١).

قدم اسم إن هنا لأنه هو الذي يعنينا ويهمنا، إذ المراد تعظيم وتهويل عذاب أهل النار يوم القيامة، وهذا هو وجه العناية به؛ لأن الغاية والمرمى في أصل المعنى من هذا التعظيم، تحذير وإنذار الناس ليتقوها. وإذا اعتبرنا طول الكلام في المسند إليه كان الغرض التشويق إلى ذكر المسند لكي يتقى النار، ولكن التشويق يكون . غالباً . في المحبوب إلى القلب.

**"حديث عبد الله بن مسعود(ﷺ)، قال: كنا إذا صلينا مع النبي (ﷺ) قلنا: السلام على الله قبل عباده، السلام على جبريل، السلام على ميكائيل، السلام على فلان.فلما انصرف النبي(ﷺ)أقبل علينا بوجهه،فقال:"إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ"**(٢).

قال أبو يعقوب السكاكي:" وأما الحالة التي تقتضي تقديم المسند إليه على المسند؛ فهي متى كان ذكره أهم. ثم إن كونه أهم يقع باعتبارات مختلفة إما لأن تقديمه ينبئ عن التعظيم والمقام يقتضي ذلك" (٣). قياساً على ذلك أقول:قدم لفظ الجلالة لتعظيم ذات واسم الله تعالى.وهذا يفهم من سياق النص،إذاً المراد تعظيم الله؛ لذا كان من الأدب، بل والبلاغة تقديم المعظم.

**"لما قضى الله الخلق كتب في كتابه،فهو عنده،فوق العرش،إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي"**(٤).

قُدِّمَ رحمتي لإدخال السكينة في نفوس المؤمنين ، وإشعارهم بأن الرحمة مقدمة على غضبه ، وأنه لا يُيْأس من رحمته ، وحثهم على التوبة وطلب المغفرة ورجاء ذلك ، وقدمت لتعظيم أمر هذه الرحمة التي تصحب الإنسان جنيناً، ورضيعاً، وفطيما، وناشئاً،إلى آخر حياته، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق به ذلك بعد التكليف مع الإمهال، عسى أن يتوب فيتوب الله عليه، والغاية من تقديمها للتعظيم أن يتعلق الإنسان بها، ويعلم أن خالقه به بر رحيم عطوفاً رحمن،

---

(١) الحديث رقم (١٢٧).
(٢) الحديث رقم (٢٢٦).
(٣) مفتاح العلوم، ص ١٠٩، ١١٠.
(٤) الحديث رقم (١٧٤٩).

فيسعى ويَجِدُّ في مرضاته. وأرى أن لا مانع من أن يكون التقديم لتأكيد تغلب الرحمة على الغضب، والغاية فيهما واحدة.ثم إن التعظيم أفدته من تمام الحديث.فعبارة (هُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ) فهمت منها تعظيم ما كُتِبَ في ذلك الكتاب.

**"إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةِ الْبَدْرِ،ثم الذين يلونهم، على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون،ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون. أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الأَلُوَّة الأَنْجُوج(١) عود الطيب، وأزواجهم الحور العين. على خَلْقِ رجل واحد. على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء"(٢).**

قدم اسم إن لتعظيم وتبجيل والتنويه برفعة هذه الزمرة، والغرض من تعظيمها حث المؤمنين وتشويقهم ليتنافس كل واحد منهم أن يكون من تلكم العصابة. جعلنا الله منهم بمنه وفضله وكرمه ! وإذا أمعن النظر في طول عبارة المسند إليه جاز لنا أن نقول: إن الغرض من التقديم كان من أجل التشويق إلى ذكر المسند.

---

(١) الألوة الأنجوج: عود الطيب. اللؤلؤ والمرجان، ج٣، ص ٢٨٩.
(٢) الحديث رقم (١٨٠٥).

## **المطلب الرابع: التحقير**

**"إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ فَأَمْكَنَنِي اللَّهُ مِنْهُ،فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان:** ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [1].[2]

أفاد تقديم عفريت تحقير هذا العفريت،ومما قاد زِمامَ هذا تنكيرُ عفريتٍ. قال السيوطي في شرح عقود الجمان:" البحث الرابع في تنكيره . أي المسند إليه وذلك لأمور منها...،ومنها التحقير بمعنى انحطاط شأنه".[3] ومما يدل على التحقير قوله(ﷺ)في رواية أخرى ذكرها ابن حجر:" فرده الله خاسئاً [4]". وقلت:إن التحقير أفاد هوان وخسة الشيطان مهما كان جنسه. وقد يفيد التأكيد؛ لأنه في مقام المبتدأ الذي تقدم على خبره، الذي هو جملة الفعلية.

**" حديث عائشة (رضي الله عنها)،قالت:" استأذن رجل على رسول الله(ﷺ)فقال:" ائذنوا له،بئس أخو العشيرة،أو ابن العشيرة"،فلما دخل،ألان له الكلام. فقلت:يا رسول الله، قلت الذي قلت، ثم ألنت له الكلام ! قال:" أي عائشة، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ (أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ) اتِّقَاءَ فُحْشِهِ"[5].**

قدم اسم (إن) لتحقير هذا الذي تركه الناس اتقاء فحشه، وابتعاداً عن سوء خلقه، وتجنباً لسوء معاشرته. وأرى أن لا مانع من كون الغرض تمكن الخبر في ذهن السامع؛ لأن في اسم إن تحريكاً للنفس لمعرفة من هو شر الناس ؟وفي كلا الحالين الغاية من الكلام واحدة،وهي النهي الشديد من أن يسلك الإنسان هذا المسلك، أو أن يكون من هذا الجنس من الناس. ويمكن أن يكون التقديم للتعجيل بتقديم بمساءة من تركه الناس اتقاء فحشه، ولا عجب في ذلك؛ لأن نكات التقديم لا تتزاحم[6].

---

(1) سورة"ص" الآية ٣٥.
(2) حديث رقم (٣١٤).
(3) شرح عقود الجمان، ص ١٩.
(4) فتح الباري، ج١ ص ٨٠٥.
(5) الحديث رقم (١٦٧٢).
(6) انظر حاشية الدسوقي، ج ٢، ص ١٦٣.

" إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الخَصِمُ"[١].

إنما قدم المسند إليه لتحقيره، فليس هناك أحد أحق بالتحقير والهوان والخسة والذل من هذا الذي جعل نفسه محل بغض الله تعالى، ثم إن المرام من هذا التحقير النهي عن اللدد والخصومة في دفع الحق، وإثبات الباطل [٢]. وأرى أن لا مانع من أن يكون التقديم ليرسخ الخبر ويتمكن ويستقر في ذهن السامع استقراراً تاماً،لاسيما أن الغاية واحدة .

(١) الحديث رقم (١٧٠٧).
(٢) اللؤلؤ والمرجان، ج ٣ ص٢١٦.

## المطلب الخامس: التشويق إلي ذكر المسند

**"حديث زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)اتخذ حُجْرَةً، من حصير، في رمضان، فصلى فيها ليالي، فصلى بصلاته ناس من أصحابه، فلما علم بهم جعل يقعد، فخرج إليهم فقال: " قد عرفت الذي رأيت من صنيعكم، فصلوا أيها الناس في بيوتكم؛ فإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ"[١].**

قدم اسم إن وأخر خبرها ليرسخ ويستقر الخبر في النفس، ويتمكن في القلب؛ لأن في الاسم تشويقاً عند المؤمن الساعي لمرضاة ربه لمعرفة الخبر؛ إذاً الغرض التشويق إلى ذكر الخبر. وإنما أريد رسوخه وتمكنه واستقراره . أي الخبر . ليعمل بمقتضى ذلك، فيحرص ويلتزم على تلك في البيوت، وعلى هذه في المساجد.

**" إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمَاً مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ"[٢].**

الحق أن في المسند إليه تشويقاً إلى معرفة المسند؛ وذلك لأن المؤمن الكيِّس الحريص على صلاح دينه إذا سمع المسند إليه . وهو أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمَاً . استشرفت نفسه معرفة المسند؛حتى يبتعد عنه،وينأى عنه،وهذه هي الغاية من الخبر؛ لذا قال شيخ الإسلام النووي:"ومقصود أحاديث الباب . أي الذي ورد فيه هذا الحديث . أنه(صلى الله عليه وسلم)نهاهم عن الإكثار من السؤال،والابتداء بالسؤال عما لا يقع،وكره ذلك لمعانٍ:منها أنه ربما كان سبباً لتحريم شيء على المسلمين، فيلحقهم به المشقة...".[٣]إذاً الغرض من تقديم اسم إن أن يتمكن الخبر في ذهن السامع.

---

(١) الحديث رقم (٤٤٧).
(٢) الحديث رقم (١٥٢١).
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٣١- ٦٧٦ هـ) ، تحقيق رضوان جامع رضوان، مطبعة الشركة الدولية، القاهرة، ٢٠٠١ م، المجلد ٥ الجزء ١٥ ص ١٢٠.

## المطلب السادس: اتصافه بالخبر

**"حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت النبي (ﷺ) عن الجدر أمن البيت هو؟ قال: "نعم". قلت:فما بالهم لم يدخلوه في البيت ؟ قال:"إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمِ النَّفَقَةُ". قلت: فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال:" فعل ذلك قومك ليُدْخِلُوا من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية، فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت، وأن ألصق بابه بالأرض"[1].**

قال أبو يعقوب عن دواعي تقديم المسند إليه:" وإما لأن كونه متصفاً بالخبر يكون هو المطلوب كما إذا قيل: كيف الزاهد ؟ فتقول:الزاهد يشرب ويطرب" [2]. استناداً إلى هذا أقول: قدم المبتدأ لأن كون قريش لم تكمل بناء الكعبة بسبب النفقة هو المطلوب الإخبار عنه. ويدل على هذا مواصلة سؤال السيدة عائشة وإجابة رسول الله(ﷺ) بأن قومها فعلوا كذا، وأن قومها فعلوا كذا، ولولا أن قومها كذا لكان كذا.

هذه هي الأغراض التي وقفت عليها في تقديم اسم إن على خبره، والأغراض تنوعت وتعددت إلى ستة أغراض، وهذا التنوع معزاه . عندي . إلى اختلاف المعاني المراد إثباتها فهي تختلف ترغيباً وترهيباً، والترغيب والترهيب أرى أنهما قطب الرحى الذي دار عليها لفظ الحديث النبوي الشريف، ولكن ينبغي أن ننظر إلى أن هذه الأغراض وإن تعددت إلا أن فيها تأكيداً وتقويةً، سببها دخول إن التي وضعتها العرب للتأكيد. وعلى كل حال هذه الأغراض هي: التأكيد وتقوية الحكم، ، والتقديم لأنه الأصل ، واكتفيت بهذا القدر وإن كان عدد النصوص التي أحصيتها في الجمع الأولي للمادة كثير، ولكنها تكاد تتفق في العلة، ولم أرى في غير هذه النصوص ما فيه مزيد على النماذج التي أوردتها، ومن أغراض تقديم اسم إن التعظيم ، ومن الأغراض التحقير، لم أجد غيرها في هذا الكتاب، ومنها التشويق إلى ذكر المسند ، وختمت المبحث بالغرض الذي هو اتصافه بالخبر وفيه نص واحد. وأرى أن هذا التنوع من حيث عددُ النصوص لم يرد دون قصد وتعمد ، وقد حاولت أن أقف على التدرج الزمني لقول هذه الأحاديث،

---

[1] الحديث رقم (٨٤٣).
[2] مفتاح العلوم، ص ١١٠.

أو على السياق . في كثير من النصوص . أو على المكان الذي قيلَتْ فيه، وعلى من قيل هذا الكلام في حضرتهم وحقهم، وحالهم، حتى أصدر حكماً علمياً وعقلياً ومنطقياً، على القيمة الأسلوبية والفنية لهذه الأحاديث من حيث أسلوب التقديم والتأخير، فلم أوفق ولكني لن أترك البحث في هذه الجزئية ؛ لأن ترك العلماء لدراسة الحديث النبوي الشريف من هذه الناحية أمرٌ ينبغي أن نمعن النظر فيه ، وقد قال لي أستاذي الدكتور محمد الحسن الأمين:" قد يكون السبب أنها رويت بالمعنى". لكن بغض النظر عن كون هذه الأحاديث رويت بالمعنى أو باللفظ نسأل سؤالاً، ما هي القيمة الأسلوبية والفنية والجمالية لهذه النصوص ؟ فهذه الأحاديث، عند أمس وجه الحوجة إليها، وهو جانب التشريع، قيل فيها: قال رسول الله(ﷺ) كذا، فما بال الدراسة الأدبية والفنية !. وهذا مراعاة لمن قال أنها رويت بالمعنى ، وإلا فقد نصر كثير من العلماء أن الأحاديث التي رويت بالمعنى قليلة .

## المبحث الثالث

## تقديم الفاعل

الحق أن العلماء عندما تحدثوا عن مسائل التقديم والتأخير التي تتعلق بالمسند إليه لم يذكروا الفاعل كما لم يذكروا غير المبتدأ من أنواع المسند إليه، وهذا إما لأنهم كانوا في مرحلة التأصيل والتنظير والتقعيد لمسائل البلاغة، وإما لأن تقديم الفاعل على الفعل هو الأصل، والغرض البلاغي في الغالب يلتمس في خروج الكلام عن مقتضى الظاهر والأصل. ومعلوم أن الكلام هنا عن تقديم الفاعل على غيره من المعمولات، أما إذا تقدم على عامله فلا يسمى فاعلاً كما هو معلوم. لذا كل النصوص التي ورد فيها تقدم الفاعل على غيره من المعمولات يمكن أن يقال فيها جاء تقديمه على الأصل، لكنه مع هذا أفاد معانيَ أخرى دل عليها السياق. وبيان هذا، أنه يكون التقديم فيها لأنه الأصل هو الظاهر، بل تقريباً كل النصوص التي جمعتها في الجمع الأوَّلِيِّ للمادة جاء التقديم فيها لأنه أصل التركيب اللغوي الصحيح، ولكن أحياناً ألتمس غرضاً آخر يكون أكثرَ ظهوراً من كونه الأصل، ولكن هذه نصوص قليلة جداً مقارنة بالتقديم للأصل، ومما يدل على أن الغرض البلاغي قد يكون في التقديم مع كون التقديم جاء للأصل قول شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني(رحمه الله تعالى) في دلائل الإعجاز:". .. ثم قالوا: إن كان رجلٌ ليس له بأس ولا يقدَّر فيه أنه يقتل، فقتل رجلاً، وأراد مخبر أن يخبر بذلك، فإنه يقدم ذكرَ القاتل فيقول:" قَتَلَ زَيْدٌ رَجُلاً"، ذاك لأن الذي يعنيه ويعني الناس من شأن هذا القتل، طرافتُه وموضع الندرة فيه، وبُعْدُه كان من الظن. ومعلوم أنه لم يكن نادراً وبعيداً من حيث كان واقعاً بالذي وقع به، ولكن من حيث كان واقعا من بالذي وقع منه".[١]

إذاً مثال الشيخ وإن كان التقديم فيه جاء على الأصل إلا أنه مع هذا أفاد معنىً آخر بينه الشيخ . رحمه الله تعالى!

---

(٢) دلائل الإعجاز، ص ١٠٨.

## **المطلب الأول: تقديمه لأنه الأصل**

**"إِذَا شَرِبَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ سَبْعًا"[١].**

إنما قدم الفاعل علي الجار والمجرور لأن تقديمه هو الأصل، ومع هذا فالذي يعنينا في المقام الأول شرب الكلب؛ إذ الغاية من الحديث بيان حكم شرب الكلب في الإناء.

**"لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"[٢].**

قدم الفاعل علي المفعول؛ لأنه الأصل، ثم إن تعظيم اسم الله تعالى بالنسبة للمفعول به يوجب تقديمه عليه، ثم لبيان خسة وسوء حال اليهود والنصارى. ولا يخفى أن التقديم للمفعول يفيد التخصيص[٣] لذا إن قدم المفعول به أوهم هذا خلاف المراد.

**" اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَي رَبِّهَا، فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً؛ فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير"[٤].**

قدم لفظة"النَّارُ" إذ هو الأصل، وجاء الكلام على الأصل لأنه المهم عندنا، وهو الأمر العجيب العظيم الداعي للاستعاذة من النار، هو وقوع الشكوى منها، فلو قيل:اشتكت إلي ربها النار، لم تجد الذي أنت واجده في الحالة الأولى من الرهبة والخوف والوجل. وهو أمر مقصود فيما أرى.

**"إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ،فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ"[٥].**

لاشك أن تقديم الفاعل(أحدكم) جاء على أصله وَفْق ما يقتضيه الوضع اللغوي.وإنما جاء على أصله ولم يقدم المفعول فيما أرى؛ لأن الخطاب كان منه لأصحابه،وهم بحضرته،فناسب ذلك أن يبدأ بذكرهم أولاً.فلو قدم المفعول فهم أن الأهم . في الكلام . هو المسجد، والنص لا يساعد على هذا.

**" لَا يَشِيرُ(١) أَحَدُكُمْ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ؛ فإنه لا يدري، لعل الشيطان ينزع في يده،**

---

(١) الحديث رقم(١٦٠).
(٢) الحديث رقم(٣٠٦).
(٣) انظر علم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق، مطبعة دار الآفاق العربية، القاهرة، سنة١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ١١١، ١١٢.
(٤) الحديث رقم (٣٥٩).
(٥) الحديث رقم (٤١٤).

**فيقع في حفرة من النار"[٢].**

هذا النص الشريف أقول في نظمه كما قلت في سابقه. والحق أن تقديم لفظ الفاعل (أحد أو أحدهم) يكثر وروده في جملة الحديث الفعلية متى ما وردت، وتكرارها في هذين الموضعين أظهر دليل ما قلت، هذا مع أني وجدت ما يربو على العشرة مواضع بكثير على هذا النحو.

**" حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ"[٣].**

الذي ظهر لي من تقديم الفاعل أن الغرض منه كان أنه الأصل. فلو قيل:حجبت بالشهوات النار كان مقتضى النظم أن يكون الكلام عن الشهوات، وسوء عاقبتها، ووخيم عقابها، وقبيح مآلها. ولو قيل:"حفت بالمكاره الجنة" سبق إلى القلب أن الحديث عن المكاره وحسن الصبر عليها، وفلاح معادها، وفوز عُقْباها، وجميل موردها ومآلها؛لأن العرب يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم [٤].ولكن لما كان أصل الكلام عن النار والجنة، وبيان ما يورد إليهما وما يؤدي ويوصل إليهما، فذلك اقتضى تقديم الذي قدم وهو الجنة والنار.

وأيضاً قد يفيد تقديم الجار والمجرور التخصيص، وقطعاً التخصيص غير مراد.

**"يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ"[٥].**

قال محمد فؤاد عبد الباقي:" يعرق الناس بسبب تراكم الأهوال، ودنو الشمس من رؤوسهم والازدحام حتى يذهب عرقهم:يجري سائحاً. ويلجمهم: من ألجمه الماء، إذا بلغ فاه"[٦].

إذاً تقديم الفاعل(الناس) على المفعول به فوق كونه هو الأصل أن المراد والغاية الإخبارُ عن عرق الناس في ذلك اليوم . وقانا الله من شره . لبيان شدة وهول يوم

---

([١]) قال في اللؤلؤ والمرجان، ج ٣ ص ٢٠١:" لا يشير: هو نهي بلفظ الخبر، كقوله تعالى:﴿ **لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا**﴾البقرة الآية(٢٣٣) وهذا أبلغ من لفظ النهي". قلتُ: قصده لا تضارُّ (بضم الراء المشددة). وهذه قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب. انظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لعبد الفتاح عبد الغني القاضي، تحقيق أسامة هيثم عطايا، مطبعة البيروني، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ص .

([٢]) الحديث رقم (١٦٨١).

([٣]) الحديث رقم (١٧٩٧).

([٤]) الكتاب لسيبويه ج ١ ص١٤، ١٥.

([٥]) الحديث رقم (١٨٢١).

([٦]) اللؤلؤ والمرجان، ج٣ ص٢٣٦.

القيامة حتى يفر المؤمن إلى ربه. أما لو قدم الظرف صار هو الأهم يوم القيامة، والحديث عنه وهذا ليس هو الواقع.

" **لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتَاً فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةُ تَمَاثِيلٍ**"(١).

قدم الفاعل لأن تقديمه هو الأصل، إذِ المراد الإخبار بعدم دخول الملائكة البيت الموصوف بتلك الصفة،فلو قدم المفعول به لفقد الكلام قوة التأثير الكائنة في الجملة الأولى؛والسبب في ذلك أن حضور الملائكة أمر يسعى إليه المؤمن،ويحرص عليه.وقد يكون التقديم لتعظيم الملائكة؛لأنها مخلوقات يسعد ويفرح ويجزل المؤمن بحضورها معه.

---

(١) الحديث رقم (١٣٦٣).

## المطلب الثاني: التعظيم

**" تَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ "[١].**

قدم الفاعل لتعظيمه لأن فيه التعجب، والترغيب، والحث، واستنهاض الهمم على الالتزام بها في وقتها. قال ابن حجر:" فإنه يدل على مزية صلاة الفجر على غيرها".[٢] ولا يكون هذا بعينه لو قيل: تجتمع في صلاة الفجر ملائكة الليل وملائكة النهار؛ لما فيه من القصر والتخصيص.

**حديث أنس بن مالك (ﷺ) قال: قالت الأنصار يوم فتح مكة، وأعطى قريشاً: والله، إن هذا لهو العجب، إن سيوفنا تقطر من دماء قريش، وغنائمنا ترد عليهم ! فبلغ ذلك النبي (ﷺ)، فدعا الأنصار، قال: فقال:" ما الذي بلغني عنكم ؟" . وكانوا لا يكذبون . فقالوا: هو الذي بلغك. قال:" أولا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم، وترجعون برسول الله (ﷺ) إلى بيوتكم ؟ لَوْ سَلَكَتِ الْأَنْصَارُ وَادِيَاً أَوْ شِعْبَاً، لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ أَوْشِعْبَهُمْ"[٣].**

قدم الفاعل(الأنصار) لأنه الأهم، وهو الذي يعنينا؛ ولأن الكلام عن سلوك الأنصار، أما كون المسلوك وادياً أو شعباً [٤]فليس هو الأهم والأولى بالتقديم، ثم إن الكلام عن فضل الأنصار، والتنويه بهم، وبيان رفعة قدرهم، وعلوِّ شأنهم، وكبير منزلتهم عند سيدنا رسول الله (ﷺ) وما لهم من المزية والمنقبة [٥]، فناسب كل ذلك تقديم ذكر الأنصار. وانظر إلى أنه لم يقل:" لسلكت واديهم" ، فهو إظهار في موضع الإضمار ؛ لحبه لهم ، وتعلق نفسه بهم .

**حديث أنس (ﷺ)، قال كنا مع النبي (ﷺ) أكثرنا ظلاً الذي يستظل بردائه، وأما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً، وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا. فقال النبي (ﷺ):" ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ بِالْأَجْرِ"[٦].**

---

(١) الحديث رقم (٣٨٠).
(٢) فتح الباري، ج ٢ ص ١٩٥، ١٩٦.
(٣) الحديث رقم (٦٣٤).
(٤) وهو الطريق في الجبل الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ، تحقيق أبو إسحاق الجويني الأثري، مطبعة دار ابن عفان، المملكة السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
(٥) المنهاج، للنووي، ج ٤ ص ١٦٨.
(٦) الحديث رقم (٦٨٣).

قدم النبي(ﷺ)الفاعل . وهو الأصل . للعناية والاهتمام والتنويه برفعة شأن هؤلاء المفطرين الذين فعلوا كل ما ينبغي فعله في تلكم الحالة، لإخوانهم الصائمين، فاستحقوا الثناء والمدح والبشارة والشكر؛ فالحديث إذاً سيق لتفضيل المفطرين ومدحهم والتبشير لهم.

"**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ،تَضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**"[1]. قدم الفاعل (السَّاعَةُ) لأنه أصل الكلام. أما بالنسبة إلى (نَارٌ) فالتقديم كان من أجل تعظيم هذه النار، وتنكيرها يقوي ذلك . أي التعظيم .، وكذلك الوصف الذي وصفت به. قال ابن حجر:" والذي ظهر لي أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت في نواحي المدينة"[2]. وقال صاحب تحفة الراكع:" وكان ظهورها في الحرة الشرقية من المدينة في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة"[3]. وهذا الخبر فيه من الدلالة على قدرة الله وعظيم سطوته وقدرته ما لا يوصف، مما يجعل المؤمن يفر ويبتهل إلى الله أن يلطف به، ويعامله بفضله وكرمه عند نزول المصائب. ولا يخفى ما في التعظيم من إدخال الروع والمهابة في النفوس .

---

(1) الحديث رقم (١٨٣٩).

(2) فتح الباري، ج ١٣ ص ١١٥.

(3) تحفة الراكع الساجد بأحكام المساجد، للإمام أبي بكر بن زيد الجراعي (ت ٨٨٣) تحقيق صالح سالم النهام ومحمد باني المطير وصباح عبد الكريم العنزي وفيصل يوسف العلمي، مطبعة المراقبة الثقافية بإدارة المساجد، الكويت، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م، ص ٢٧٣.

## المطلب الثالث: التلذذ بذكره

"يَنْـزِلُ رَبُّنَـا (تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى) كُـلَّ لَيْلَـةٍ إِلَـى السَّـمَاءِ الـدُّنْيَا،حين يبقـى ثلـث الليـل الآخر،يقـول:من يـدعوني فأسـتجيبَ لـه،من يسـألُني فأعطيَـه،من يسـتغفرُني فـأغفر لَه!"[١].

قدم الفاعل(ربُّنا) هنا للتلذذ بإجراء اسم الله تعالى على اللسان؛ لامتلاء القلب به. واللسان يدل على ما في القلبِ، وما القلبُ به مشغول. ولا مانع من أن يكون التقديم للتعظيم. وعلى كل حال وجه الأهمية .وهي العلة الأصلية للتقديم . هو(أي نزول ربنا) الذي يعنينا ويتصل بمسرة من يذكر الله (جل في علاه) في هذه الساعات، وتلك الأوقات؛ لذا ناسب تقديمه. والْمَرام الحث على الذكر حينئذٍ. وفيه تفضيل صلاة الليل[٢]. وهذا الغرض من الأغراض التي ذكرها الخطيب القزويني، وقد أشار ابن يعقوب المغربي إلى الفرق بين هذا الغرض وبين إيهام أنه لا يزول عن الخاطر؛ لأن بينهما تشابه، والتفريق بينهما يحتاج إلى مزيد تأمل وتمعن في النص قبل الحكم بأن الغرض هو هذا أو ذاك، فقال:" وليس هذا تكراراً مع ما قبله، يقصد إيهام أنه لا يزول عن الخاطر، إذ ليس كل مطلوب محبوباً"[٣]. يفهم من هذا أن إيهام أنه لا يزول عن الخاطر يكون في المحبوب وغيره، بخلاف التلذذ. كما في هذا المثال.

وفي ختام هذا المبحث أجمل الأغراض التي وردت فيه، وهي ثلاثة، التقديم لأنه الأصل ، والتعظيم ، والاستلذاذ بذكره. وهذه الأغراض كلُّها جاء فيها التقديم في المقام الأول لأنه الأصل.

مما تقدم يمكن أن نخلص – في خاتمة هذا الفصل – للآتي: أن مجوع الأغراض التي وردت في هذا الفصل ستة عشر غرضاً، وهذه الأغراض منها ما تكرر في المباحث الثلاثة، ومنها ما تكرر في مبحثين، ومنه ما ورد في مبحث واحد فقط. فالتقديم لأنه الأصل تكرر وردوده في المباحث الثلاثة، ويلاحظ أن نصوصه في المباحث الثلاثة من أكثر النصوص عدداً مقارنة بغيرها، والأغراض الأصلية

---

(١) الحديث رقم (٤٣٤).
(٢) فتح الباري، ج ٣ ص ٤٧.
(٣) مواهب الفتاح، ج ٢، ص ٣٩٤.

للتقديم في هذا الغرض البلاغي لا تخرج عن التوجيه والإرشاد، والإخبار عن أمر ما، والترهيب والترغيب، ولكنه كثر جداً في التوجيه والإرشاد. أما الغرض الثاني والأخير الذي تكرر في المباحث الثلاثة فهو التعظيم، ولاحظت أن هذا الغرض البلاغي ورد في عدد من الأغراض الأصلية ولكنه كثر في المدح والوصف بفضائل الأخلاق، ومحاسن الصفات. وقد ورد في الفخر في موضع، والفخر من المدح بسبب. أما الأغراض التي تكررت في مبحثين فغرضان: التأكيد، والحق أن التأكيد أكثر الأغراض نصوصاً، سواء في المبحث الأول أو الثاني، والحق أن هذه الأغراض لم تخرج عن ما قاله عبد القاهر في المواضع التي يحسن فيها التأكيد، وهي المدح، وفيما جاء فيه إنكار منكر، أو فيما اعترض فيه شك، وفيما يستغرب من الأمر وغير ذلك، ولكن التأكيد فيما اعترض فيه شك أكثر بقليل من غيره. أما الغرض الثاني الذي تكرر في المبحثين الأول والثاني دون الأخير فهو التقديم للتشويق للمسند، ورد في المبحث الأول سبع مرات، وفي الثاني مرتين، والأغراض الأصلية التي من أجلها قدم المقدَّمُ وأخر المؤخَّرُ تنحصر في المدح والإخبار الذي هو في أصله ترغيب أو ترهيب، وإذا تنبَّهنا إلى أن المدح نوع من الترغيب يمكن القول بأن أغراض هذا الفصل في التقديم للتشويق إلى ذكر المسند انحصرت في الترغيب والترهيب.

أما الأغراض التي لم تتكرر ففي المبحث الأول التخصيص،وكل النصوص التي وردت فيه مقصورة – فيما أرى – على المدح الفخر، وورد نصان في أحدهما ذم، وفي الآخر إخبار. ومن الأغراض التي انفرد بها المبحث الأول التقديم لإيهام أنه لا يزول عن الخاطر وفيه نص واحد الغرض الأصلي فيه إخبار عن مراتب الدين الإسلامي، وآخر المطالب في هذا التقديم للتعجب من المسند إليه، وفيه توبيخ وعتاب، وتوجيه وإرشاد، وجاء التقديم فيه في أسلوب الاستفهام الإنكاري،

أما المبحث الثاني فالأغراض التي انفرد بها هي: التحقير والغرض الأصلي فيه الإخبار في نصوصه الثلاثة، لكن النص الأول فيه شيء من الإخبار بفضل الله تعالى على رسوله(ﷺ)، أما النص قبل الأخير ورد فيه إخبار، يلاحظ أن به ترهيباً وتحذيراً من اللَّدد في الخصومة، وفي الأخير نفس الأمر، لكن من الفحش الموجب

لهجر الناس.

أما المبحث الأخير ففيه غرض واحد لم يتكرر، وهو التقديم للتلذذ بذكر المسند إليه، وفيه نص واحد وهو إخبار، وفي حقيقته حث وترغيب في خير. فهذه هي الأغراض التي وردت في هذا الفصل مع بيان الأغراض التي سميتها أغراضاً أصلية، ويمكن القول: بأن الأغراض البلاغية في الحديث النبوي تنوعت فيها الأغراض الأصلية، وأن الأغراض البلاغية للتقديم أدت دوراً عظيماً للمعاني التي كان يريد رسول الله (ﷺ) إيصالها لأمته بطريقة معينة، تجعل الأمة تلتزم أوامره، وتجتنب نواهيه، وهذه هي الغاية الكبرى من إرساله(ﷺ) للبشرية جمعاء.

الحق أن علماء البلاغة قرروا أن تقديم المسند على المسند إليه الغالب فيه والكثير أن يكون لإفادة الحصر والقصر والاختصاص [١]. وقد يأتي لغير ذلك كما سنبين لاحقاً، لكنهم مع ذلك اشترطوا في ذلك أن يصح الابتداء بالمتأخر[٢]؛ لذا تجدني تركت عدداً كبيراً من النصوص لم أجد فيها ما اشترطه العلماء(رحمهم الله تعالى) ! لكــنَّ

الأغراض في هذا الفصل تنوعت بتنوع الأغراض الأصلية التي من أجلها سيق الكلام ، أي أن الترغيب، والترهيب، والإخبار، والبشارة، والنذارة، والمدح، والذم، ونحو ذلك . وهي الأغراض الأصلية . لها دور كبير في تحديد الغرض البلاغي من التقديم والتأخير. ولقد تنبه لهذا الخطيب وشراح التلخيص فناقشوا تقديم المسند على هذا الأساس، والتمستُ في دراستهم تفطناً لكثرة النصوص في الأغراض البلاغية لتقديم المسند من حيث قولُهم: إن الغالب في تقديم المسند هو الاختصاص، فنجد أن أبا يعقوب السكاكيَّ عند ما ناقش تقديم المسند بدأ بذكر التخصيص، وثنى الكلام بالتقديم للتنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت، وأكثر من الأمثلة في هذا الغرض، حتى بلغ عددُها ثمانيةَ أمثلةٍ، ثم تحدث عن أغراض أخرى يمكن ورودها في تقديم المسند على المسند إليه[٣]، ورأيت فيه إشارة لطيفة، ونكتة دقيقة منه .رحمه الله . وهي إن التقديم للتخصيص في الباب هو الغالب والأكثر، أما التقديم للتنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت فهو وإن كان كثيراً، لكنه دون الاختصاص. ومجموع الأغراض التي ذكرها سبعة أغراض لم يزد عليها الخطيب وشارحو تلخيصه شيئاً يذكر[٤]، وهي: التخصيص، والتنبيه على أنه خبر لا نعت،أو أن يكون قلب السامع معقوداً به، نحو :هلك خصمك لمن يتوقع ذلك،أو لأنه صالح للتفاؤل ولم يذكر مثالاً،أو لأنه أهم عند القائل، نحو: عليه من الرحمن ما يستحقه، أو للتشويق، أو يكون المراد بالجملة

---

(١) انظر مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لابن يعقوب المغربي، شروح التلخيص، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ج ٢، ص ١١٤.

(٢) انظر حاشية العلامة محمد بن محمد بن عرفة الدسوقي على شرح العلامة مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني على التلخيص، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ج ٢، ص ١١٠.

(٣) انظر مفتاح العلوم، ص١٢٣، ١٢٤.

(٤) نفسه، ص ١٢٣ ـ ١٢٦.

إفادة التجدد دون الثبوت فيجعل المسند فعلاً ويقدم البتة[١]، وقد نبه أحمد بن السبكي إلى أنه . أيضاً . يأتي للتشاؤم وإساءة السامع، مع أن الخطيب[٢] أهمل هذا الغرض ، ولا وجه لإهماله[٣]. والحق أن الأغراض التي وقفت عليها في مباحث الفصل لم تخرج عن الأغراض التي ذكرها العلماء ، مما يدل على استقراء العلماء . رحمهم الله . للنصوص قبل تقعيدهم القواعد ، ووهو أمر وإن كان معلوماً ، إلا أن من سمع ليس كمن رأى . وهي عندي نتيجة على قدر عالٍ من الأهمية، بيد أني وجدت في مبحث تقديم خبر المبتدأ غرضاً لم يذكروه، وهو التعجب . نعم ، هناك أحاديث حمالة أوجه تصلح لأكثر من غرض، ولا عجب في ذلك فقد قرر العلماء أن نكات التقديم لا تتزاحم[٤]. ومما يتوقف عنده أن هناك أغراضاً تكرر ورودها في مباحث الفصل، سأناقشها في نهايته وفي هذا الفصل دارت أحوال المسند فيه على خبر المبتدأ، وخبر إن، وخبر كان، وهو ترتيب جاء على حسب كثرة الأمثلة، فالنصوص التي ورد فيها تقديم خبر المبتدأ أكثر من النصوص التي تقدم فيها خبر إن، التي هي أكثر من النصوص التي تقدم فيها خبر كان، أما بقية أنواع المسند في سائر النواسخ لم أجد لها أمثلة يمكن الوقوف عندها، أو إني لم أجدها البتة. وكذلك تقديم الفعل لم أجد في النصوص التي بين يدي ما فيه غرض زائد على كون تقديمه هو أصل التركيب اللغوي الصحيح، فأضربت عنه.

(١) انظر مفتاح العلوم ، ص ١٢٣ ـ ١٢٦
(٢) يقصِدُالخطيبَ القزوينيَّ صاحب كتاب التلخيص الذي شرحه ابن السبكي.
(٣) انظر عروس الأفراح، ج٢، ص١١٦.
(٤) حاشية الدسوقي على مختصر السعد التفتازاني على التلخيص، ج٢، ص١٦٣.

# الفصل الثاني
## المبحث الأول
## تقديم خبر المبتدأ

خبر المبتدأ هو الذي دار عليه تحليل علماء البلاغة في دلالة تقديم المسند على المسند إليه ، والسبب عندي أنه هو أصل الجملة الاسمية، ثم إن ما قيل في تقديم هذا يمكن أن يقال في خبر ذاك؛ لأن تقديم الخبر في سائر أنواع الأخبار تتفق فيه الأغراض، لكن الاختصاص في بعض أنواع الأخبار قد يكون قليلاً؛ لأن تقديم أخبار النواسخ على أسمائها ليس من باب تقديم المعمول على العامل، وإنما من باب تقديم بعض المعمولات على بعض، وتقديمها قال عنه ابن السبكي:"لا يفيد الاختصاص"[1]. ومما يدل على أن تقديم الأخبار في سائر أنواع الكلام تتفق في الأغراض البلاغية من التقديم، أنَّا لم نجدهم فرقوا بين تقديم المسند،وهو خبر المبتدأ، أو هو خبر كان، أو خبر ليس، أو لا النافية للجنس، أو غير ذلك، وهو من الأسباب التي جعلتني أصدر بخبر المبتدأ الفصل مع كون عدد النصوص فيه أكثر.

والأغراض التي تناولتها هنا هي نفسها التي ذكرها العلماء في تقديمه، لكني وجدت غرضاً لم يشيروا إليه، ألا وهو التقديم للتعجب منه، وقد ورد فيه حديثٌ واحدٌ .

### المطلب الأول: التخصيص

**حديث علي(رضي الله عنه)، قال كنت رجلاً مَذَّاءً، فاستحييت أن أسأل رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، فأمرت المقداد بن الأسود(رضي الله عنه)، فسأله. فقال:" فِيهِ الْوُضُوءُ"[2].**

الظاهر لي أن التقديم في هذا النص الشريف كان من أجل الاختصاص، يدل على هذا ما قاله ابن حجر(رحمه الله تعالى):" واستدل به على أن الغسل لا يجب بخروج المذيِّ. .. وهو إجماع".[3] ولما كان التخصيص إنما هو باعتبار النظير الذي يتوهم

---

(1) عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص، ج٢، ص١٥١.
(2) الحديث رقم (١٧٥).
(3) فتح الباري، ج ١ ص ٤٧٥.

فيه المشاركة [1]، وكان سياق الحديث يفهم منه أن الكلام عن المذي أيجب منه الوضوء أم الغسل . كان كلامه(ﷺ)على نفي الغسل بسبب المذي، وتخصيصه بالوضوء. قال السعد:" أما تقديمه . أي المسند . فلتخصيصه بالمسند إليه، أي لقصر المسند إليه على المسند".[2]

**دعا النبي(ﷺ)الأنصار فقال:" هل فيكم أحد من غيركم؟" قالوا:لا،إلا ابن أخت لنا. فقال النبي (ﷺ):"ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ"[3].**

قال الشيخ مخلوف المنياوي في حاشيته على الجوهر المكنون:" قد يكون التقديم لغير الاختصاص كالاهتمام".[4] لأن الاختصاص هو نوع من الاهتمام كما يفهم من كلام الشيخ عبد القاهر[5]. وفي هذا النص الشريف كان تقديم المسند(فيكم) للاختصاص. فكأنه (ﷺ) قال: يا معشر الأنصار (فقط) هل فيكم أحد من غيركم. وهنا قد يقول من قرأ كلام صاحب القول السابق: إن الاختصاص هنا غير مفهوم؛ لأن التخصيص إنما هو باعتبار النظير الذي يُتَوَهَّمُ فيه المشاركة. [6]وهنا لا نظير، فالظاهر أن تقديم المسند (فيكم) كان من أجل العناية والاهتمام به، أي لما كانت الدعوة للأنصار والكلام معهم ولهم،قُدِّمَ ذكرُهم؛ لأنه هو الأهم.وأجيب عن هذا بالآتي: مما يسبق للقلب أنه(ﷺ) لما دعا الأنصار، فقد يكون في مجلسه قبل حضورهم أحد غيرهم. إذاً السؤال ليس لكل من في المجلس، وإنما هو للمدعوِّين وحدهم. وبذا يكون من غيرهم في المجلس هو النظير،فصح بهذا أن يكون التقديم لأجل الاختصاص. والله أعلم.

**" لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ"[7].**

قال أحمد القسطلاني في شرح هذا الحديث:" للعبد المملوك (أي)للعبد الصالح في عبادة ربه، الناصح لسيده أجران. قلتُ: يلزم أن يكون أجر المملوك أضعف من

---

(1) حاشية الدسوقي، ج ٢ ص ١١٤.
(2) مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، تأليف مسعود بن عمر سعد الدين ت(٧٩٣هـ)، الناشر محمد علي الصبيح، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ج ١ ص ٣٦٧، ٣٦٨.
(3) الحديث رقم (٦٣٣).
(4) حاشية الشيخ مخلوف المنياوي في على شرح الشيخ أحمد الدمنهوري، لمتن الإمام الأخضري المسمى الجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون تاريخ. ص ١٠٠.
(5) دلائل الإعجاز، ص ١٠٨، ١٠٩.
(6) حاشية الدسوقي، ج ٢ ص ١١٤.
(7) الحديث رقم (١٠٨٠).

السيد. أجيب: بأنه لا محذور في ذلك، أو أجره مضاعفاً من هذه الجهة، وقد يكون لسيده جهات أخرى يستحق بها أضعافَ أجرِ العبدِ.[١]"

بناء على هذا المعنى تكون الغاية من تقديم المسند هي التخصيصُ والقصرُ للأجرين على العبد الصالح دون غيره من العبيد والأسياد، بناء على الإجابة الأولى للشارح، أو دون غيره من العبيد غير الصالحين، بناء على الإجابة الثانية للشارح (رحمه الله). وعلى كل حال لا أعلم دعوة للعبيد (الذين حث الإسلام على عتقهم تلويحاً وتصريحاً) للإحسان في عبادة الله، والنصح لأسيادهم، مقرونة بالبشارة بأعظم الثواب وأجزله، . أعظمَ من قوله (ﷺ):" للعبد المملوك الصالح أجران". فجزى اللهُ رسولَ الله(ﷺ) عن أمته خير الجزاء، وأنا أشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجلا الظلمة،وكشف الغمة،ودل أمته على كل خير،، فصلى الله عليه وسلم

هذا والنص لا مانع فيه من أن يكون التقديم للتنبيه على أن المسند خبر لا نعت من أول وهلة، لا سيما المسندِ إليه نكرة.

" **فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ**"[٢].

قال القسطلاني:". .. ويحتمل إرادة العموم بأن يكون شفاء للجميع، لكن بشرط تركيبه مع غيره، ولا محذور فيه، . .. وقد أخبر الصادق المصدوق (ﷺ) عنه . أي الشفاء . واللفظ عام بدليل الاستثناء. فيجب القول به. وحينئذ فينفع من جميع الأدواء".[٣] وأرى

أن الأقرب عند تمعن هذا الحديث وشرحه السابق، وغيره من شروح الصحيحين، أن يكون الغرض من التقديم هو التخصيص، وكأنه (ﷺ) قال: ليس هناك دواء فيه شفاء من كل داء إلا الحبة السوداء. فإن اعترض بنحو قول تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ت(٩٢٣)، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، سنة ١٣٢٣هـ، ج٤، ص ٣٢٢.

(٢) الحديث رقم (١٤٣٠).

(٣) إرشاد الساري، للقسطلاني، ج ٨، ص ٣٦٦.

وإن كان يفيد التعظيم، إلا أنه لا يفيد العموم، بخلاف اسم الجنس المعرف بالألف واللام فإنه يفيده [٢] لذا قال العلامة القسطلاني:" واللفظ عام بدليل الاستثناء".[٣]

"**مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ**"[٤].

قال القسطلاني في شرح هذا الحديث:" وعند مسلم من حديث ابن مسعود(ﷺ) مرفوعاً" لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس"، وروى أيضاً من حديث أبي هريرة (ﷺ) رفعه:"إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته"، وله أيضاً:" لا تقوم الساعة على أحد يقول: لا إله إلا اله".
[٥]

إذاً هذه الريح تقبض روح كل مؤمن ومسلم، ولا يبقى إلا الشرار، فتهجم عليهم الساعة بغتة. والذي تهش إليه النفس ويسكن إليه القلب أن التقديم هنا للقصر والتخصيص؛ فقصر من تدركهم الساعة، وهم أحياء،على كونهم من شرار الناس فقط، ليسوا متصفين بصفة غيرها تقابلها؛ لأن هذا هو شرط القصر الإضافي[٦] فهو من باب قصر الصفة على الموصوف، قصراً إضافياً. وأحسب أن المراد والغاية من هذا الخبر، وما فيه من الإخبار بالغيب، ومع كونه من عميم معجزات سيدنا رسول الله (ﷺ)، هو التنبيه والحث والحض للمؤمنين والمسلمين أن يدعوا الله ألا يكونوا ممن تدركهم الساعة وهم أحياء.

ولا يوجد ما يمنع كون الغرض من

تقديم الخبر هو التشويق إلى ذكر المسند إليه، وهذا مبني على الطول الذي في المسند.

---

(١) النحل: الآية ٦٩
(٢) انظر كتاب اللُّمع في أصول الفقه، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق أيمن صالح شعبان، مطبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ، ص ٣٧.
(٣) إرشاد الساري، ج٨، ص ٣٦٦.
(٤) الحديث رقم (١٨٦١).
(٥) إرشاد الساري، ج ١٠، ١٧٥.
(٦) شروح التلخيص، مختصر العلامة السعد التفتازاني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، دون تاريخ، ج ٢، ص ١٧٤، ١٧٥.

## المطلب الثاني: التنبيه على أنه خبر لا نعت

**حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)،أن سائلاً سأل رسول الله(ﷺ) عن الصلاة في ثوب واحد، فقال رسول الله (ﷺ): " أَوَلِكُلِّكُمْ ثَوْبَانِ ؟"[1].**

قال ابن حجر:" لفظه استخبار، معناه الإخبار عما هم عليه من قلة الثياب، ووقع في ضمنه الفتوى من طريق الفحوى،كأنه يقول: إذا علمتم أن ستر العورة فرض، والصلاة لازمة، وليس لكل واحد منكم ثوبان؛ فكيف لم تعلموا أن الصلاة في الثوب الواحد جائزة ؟أي مع مراعاة ستر العورة به"[2].

فتقديم الجار والمجرور كان من أجل التنبيه من أول زمان إيراد الكلام على أن المتقدم خبر لا نعت؛لأنه لو قيل:أثوبان لكلكم ! لتوهم بادئ ذي بدء أن الجار والمجرور نعت لا خبر. وإنما قلت: بادئ ذي بدء، لأنه قد يعلم، بعدُ، أنه خبر؛ لأن الخبر لم يرد في الكلام. وبذا . أي بالتأمل . يفوت الغرض من التقديم، وهو تمكين تعجبه (ﷺ) منهم في نفوسهم،أنهم لم يعلموا أن الصلاة في ثوب واحد جائزة.ولا يخفى ما في ذلك من العتاب؛لأنه لو وجب الثوبان لعَجَزَ عنهما من لا يقدُِر عليهما [3]فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [4]

وهذا أفدْته[1] من كلام التفتازاني أثناء كلامه عن هذا السبب من أسباب التقديم، فقد قال: قال:"وإنما قال . أي الخطيب القزويني .: للتنبيه . أي التقديم . من أول الأمر على أنه خبر لا نعت؛لأنه ربما يُعلَم أنه خبر لا نعت بالتأمل في المعنى،وبالنظر إلى أنه لم يرد في الكلام خبر المبتدأ".قال الشمس الأنبابي في حاشيته على الشرح المذكور:" اعلم أن

---

(1) الحديث رقم (٢٩٤).
(2) فتح الباري، ج١، ص ٦٨٢.
(3) المنهاج، للنووي، ج٢ ص٤٧٤.
(4) سورة الحج، الآية ٧٨.

حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر ؛فهي تطلب النعت طلباً حثيثاً"[١].

لذا لم يُتَوَهَّمْ هذا في المبتدأ المعرفة.

**"بين كل أذانين صلاة، بين كل أذانين صلاة" ثم قال في الثالثة:" لمن شاء"[٢].**

جاء في معنى قوله (ﷺ)"بين كل أذانين" أي بين الأذان والإقامة، فهو من باب التغليب، وفيه جواز الصلاة بين كل أذان وإقامة. [٣] قال ابن حجر:" ولا يصح حمله على ظاهره؛ لأن الصلاة بين الأذانين مفروضة، والخبر ناطق بالتخيير، لقوله:" لمن شاء".[٤]

والذي ظهر لي أن التقديم كان للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت؛بيان هذا أن المقام يقتضي تعجيل المراد من الكلام ، والمراد هو تحقق هذا الجواز في ذهن السامع، فراراً من ذهول السامع عنه. والغاية في أصل المعنى العناية والاهتمام بهذه الصلاة تعظيماً وإعلاءً لشأنها. فلو قيل: صلاة بين كل أذانين، تُوُهِّمَ أن المجرور نعت؛ قال الدسوقي في حاشيته على مختصر التفتازاني وهو تابع لابن يعقوب المغربي وغيره: " إن حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر؛ فهي تطلب النعت طلباً حثيثاً، فإذا أخر المسند بعدها تُوُهِّمَ أنه نعت، بخلاف ما لو تقدم؛ فإنه لا يُتَوُهَّمُ ذلك؛لأن النعت لا يتقدم على المنعوت.وبالجملة فالتقديم في خبر النكرة بمنزلة ضمير الفصل في خبر المعرفة،في أن كلاً منهما مُعَيِّنٌ للخبرية".[٥]

**حديث أبي سعيد الخدري (ﷺ)،إن أعرابياً سأل رسول الله (ﷺ)عن الهجرة، فقال:" ويحك ! إن شأنها شديد، فهل لك من إبل تؤدي صدقتها ؟" قال:نعم.قال:" فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يترك من عملك شيئاً"[٦].**

قال ابن حجر: إن في الحديث إشارة إلى أن استقراره بوطنه . إذا أدى زكاة إبله . يقوم له مقام ثواب هجرته وإقامته بالمدينة".[٧] وقال:" كأنَّ ذلك بعد فتح مكة؛ لأنها

---

(١) تقريرات الشمس الأنبابي على مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح، الناشر محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٥٧هـ، ج١، ص ٣٧٠.
(٢) الحديث رقم (٤٨٠).
(٣) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري،للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني،ت(٨٥٥هـ)، مطبعة دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، دون تاريخ، ج٥ ص ١٣٨.
(٤) فتح الباري ج٢ ص ١٥٣.
(٥) حاشية الدسوقي، ج٢ ص ١١٤.
(٦) الحديث رقم (١٢٢٠).
(٧) فتح البارئ، ج ٣، ص ٤٥٤.

كانت إذ ذاك فرضَ عينٍ ثم نُسِخَ بقوله (ﷺ):" لا هجرة بعد الفتح" وقوله:" اعمل من وراء البحار" مبالغة في إعلامه بأن عمله لا يضيع في أي مكان كان".[١] والمراد بالبحار القرى يقال لها ذلك لاتساعها. [٢]

والذي تطمئن إليه النفس أن التقديم للمسند (لك) كان من أجل التنبيه على أنه خبر لا نعت؛ لأنه لو قيل: هل من إبل لك تؤدي صدقتها؟ لسبق إلى القلب أن الجار والمجرور نعت، والجملة الفعلية نعت ثانٍ. فيفوت القصد من تقديم المسند.

**" بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئراً، فشرب منها،ثم خرج؛ فإذا هو بكلب يلهث، يأكل الثرى من العطش. فقال:لقد بلغ هذا مثلُ الذي بلغ بي. فملأ خفه، ثم أمسك بفيه، ثم رقى، فسقى الكلب. فشكر الله له، فغفر له" قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجراً ؟ قال: "فِي كُلِّ كَبْدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ"[٣].**

قال النووي:" قوله (ﷺ):" في كل كبد رطبة أجر" معناه في الإحسان إلى كل حيوان حي بسقيه ونحوه أجر، وسمي الحي ذا كبد رطبة؛ لأن الميت يجف جسمه وكبده. ففي الحديث: الحث على الإحسان إلى الحيوان المحترم، وهو ما لا يؤمر بقتله".[٤]

الظاهر أن التقديم كان لتنبيه السامع أن المتقدم خبر لا نعت من أول الأمر؛ لأن المقام يقتضي تعجيل المراد من الكلام طلباً لتحقيق الخبرية في ذهن السامع فراراً من ذهوله عن المراد، للاعتناء بالإحسان لكل ذي كبد رطب. ولو أخر الخبر لظُنَّ أنه نعت فيُنْتَظَر الخبر، فيفوت الغرض من تمكين عظيم الأجر في كل ذي كبد رطبة، وهو الحث على الإحسان إلى كل حيوان محترم حي.

---

(١) المرجع السابق، ج٧، ص ٣٦٤.
(٢) انظر المرجع السابق، ج ١٠، ٧٨٢.
(٣) الحديث رقم (١٤٤٧).
(٤) المنهاج، للنووي، ج ١٣ ص ٢٤٩، ٢٥٠.

## المطلب الثالث: التعجب منه

**حديث عائشة أم المؤمنين(رضي الله عنها)" . ..فقال له ورقة[ابن نوفل]:يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله(ﷺ) بخبر ما رأى. فقال له ورقة:هذا الناموس الأكبر الذي نزل على موسى (ﷺ)، يا ليتني فيها أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله(ﷺ):أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً"[1].** قدم الخبر هنا . والله أعلم . لأنه (ﷺ) استفهم عن إخراجهم له، وأحسب أن الاستفهام مصحوب بشيء من التعجب والاستغراب، ولكن التعجب والاستبعاد قطعاً ليس من كونهم هم الذين أخرجوه، وإنما التعجب منه (ﷺ) في خروجه من وطنه، وأهله، وقومه، فناسب ذلك أن يقدم ما قدم. فالغرض التعجب من خروجه. وعن هذا يقول شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر:"واعلم أنا وإن كنا نفسر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار، فإن الذي هو محض المعنى:أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيى بالجواب...أما لأنه هم بأن يفعل ما لا يستصوب فعله،فإذا روجع فيه تنبه وعرف الخطأ"[2]. فالإنكار في حقيقته هنا تنبيه .

---

(1) الحديث رقم (٩٩).
(2) دلائل الإعجاز، ص ١٢٠، ١٢١.

## المطلب الرابع: التعجيل بالمسرة

**حديث أم سلمة (رضي الله عنها)،قالت: قلت: يا رسول الله(ﷺ)، هل لي من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا،إنما هم بني ؟ قال:"نعم، لك أجر ما أنفقت عليهم"**[1]. قال محمود العيني في شرح الحديث:"إن النفقة على الأبناء واجبة على أبيهم، فلا يجب عليها نفقةُ بنيها؛ ولهذا لم يأمر النبي (ﷺ) أم سلمة (رضي الله عنها) بالإنفاق على بنيها، وإنما قال:" لك أجر ما أنفقت عليهم".[2]والذي أراه أن التقديم هنا للتعجيل بمسرة أم المؤمنين(رضي الله عنها)، والمبادرةِ والتبكيرِ بإدخالِ السرورِ والحبورِ على قلبها، والبدءِ بتبشيرها بثبات الأجر لها في نفقتها على أبنائها؛ لأنها لمَّا قالت: هل لي. قال (ﷺ):"نعم، لك". فعندما كان حرصها، واهتمامها، وعنايتها بالأجر والثواب من عند الله تعالى في سائر أعمالها، عجل لها (ﷺ) بأن لها أجراً على هذه النفقة. وبدؤه (ﷺ) بنعم يؤكد هذا. فإن قلتَ: هلّا اكتفى بنعم، فإن فيها ما ذكرت من الإخبار بثبوت الأجر ، ومن ناحية أخرى فيها التعجيل المذكور؛ لقلة حروفها مع أدائها المعنى كاملاً، والتعجيل يقتضي ويوجب قلة الكلام في المُبَشَّرِ به غالباً، وهذا مستفاد من مدلول كلمة التعجيل نفسها. قلتُ: صدقتَ. ولكن لما كان حال أمنا هندٍ(رضي الله عنها) كأنها تستبعد هذا الأجر؛ لأن النفقة واجبة على الآباء فقط دون الأمهات؛ لذا تجدها قالتْ: هل لي من أجر؟ ولم تقل: هل لي أجر؟ ومعلوم أن (من) الزائدة هذه تفيد التأكيد، ومن يطلب التأكيد فهو ليس مطمئنَّ القلب، متيقنَ النفس، ثابتَ اليقين بالحكم، مع ما في تنكير كلمة (أجر) من التقليل، فكأنها تقول:هل لي من أجر(حتى ولو قليلاً) على هذه النفقة. ثم أنظر إلى قولها: ولستُ بتاركتهم هكذا وهكذا. فكأنها تقول: حتى وإن لم يكن لي فيهم أجر، فلستُ بتاركةٍ النفقةَ عليهم. وهذا كلام من لم يتيقنْ قلبُه وتطمئنَّ نفسُه بثبات الأجر لمن هي على نفس حالها. فناسب هذا تأكيد التعجيل للأجر، وقصدتُ كلمة(تأكيد التعجيل)؛ لأن (نعم) كانت تكفي في الإجابة،

---

(1) الحديث رقم (٥٨٥).
(2) عمدة القارئ، ج ٢١، ص ٢٥.

ولكنه(ﷺ) لم يكتفِ بها، وإنما جاء بما يؤكد مدلولها ومعناها. وإنما أكد التعجيل؛ لأن (نعم) قد يتوهم معها الثبات بقيد أو شرط أو ما يخل بإدخال السرور كاملاً . فجيء بالجملة الثانية على نحو ما ورد ؛ لنفي هذا التوهم . ولا يخفى ما في كلامه (ﷺ) من الحث والحض للزوجات على الإنفاق على الأبناء ؛ لما فيه من الأجر الكبير، والثواب الوفير، والخير العميم، إنْ استطعْنَ إلى ذلك سبيلاً .

**حديث معاذ بن جبل(رضي الله عنه) أنه كان يصلي بالناس مع النبي (ﷺ) ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة. قال: فتجوز رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: إنه منافق. فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي(ﷺ) فقال: يا رسول الله،إنا قوم نعمل بأيدينا،ونسقي بنواضحنا، وإن معاذاً صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة، فتجوزت، فزعم أني منافق. فقال النبي (ﷺ):" يَامُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ ! ثلاثاً اقرأ** ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿وسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ **ونحوها"** [٢] لاشك أن الاستفهام هنا إنكاريٌ، فتقديم المسند [٣] أفاد إنكار الفتنة في الصلاة، والنهي عنها؛لأن التطويل في القراءة يؤدي إلى الفتنة،وهي تكون بخروج المصلي من الصلاة ساخطاً على الإمام،فتقع الفتنة، وهي التقاطع، والتلاعن، والسبُّ، كما وقع ذلك في نص الحديث. فإن قلتَ: ما الفرق إن قدم الضمير؟ قلتُ: إن بتقديمه يكون المعنى: أن يا معاذ، ما ينبغي أن تصدر منك الفتنة، ويكون النهي توجه إلى سيدنا معاذ (رضي الله عنه) أن تقع منه الفتنة، دون اعتبار إلى غيره من الأئمة، وهذا بخلاف المراد، فالمراد النهي عن الفتنة من أصلها، النهي لجميع الأئمة عن فتنة الناس في صلاتهم . إذاً حاصل ما في هذا المبحث من أغراض التقديم هي على النحو التالي: الاختصاص ، والتنبيه على أنه خبر لا نعت ، والتعجب من الخبر، والتعجيل بالمسرة .

---

([١]) سورة الشمس، الآية [١] ، سورة الأعلى الآية [١].
([٢]) الحديث رقم (٢٦٦).
([٣]) قلت التمثيل بهذا الحديث هنا بناء على أن (فتان) مبتدأ، ويجوز فيه أيضاً أن يكون خبراً مقدماً، وأهملتُ هذا الوجه، لأنه لا يفيد التعجب، وإنما يفيد التخصيص.

## المبحث الثاني
## تقديم خبر إن

مما يجب الإشارة إليه أن تقديم خبر إنَّ على اسمها . في كتاب اللؤلؤ والمرجان . كثر وروده، ولكنَّ أغراضه لا تخرج في جملتها مما ذكرته. وكما أسلفت القول إنَّ العلماء لم يفردوا لتقديم خبر إنَّ أمثلة خاصة به؛ لذا كل الأمثلة في هذا المبحث جرى تحليلها قياساًعلى الأمثلة التي أوردها العلماء في باب خبر المبتدأ، وهي أربعة أغراض تفاوتت في عدد النصوص[١]، وأكثرها التقديم للتنبيه على المتقدم خبر لا نعت من أول وهلة، وأكثر الأحاديث كانت من هذا الباب، والسر في ذلك أن تقديم خبر إن على اسمها يكثر إذا كان اسم إن نكرة، ومعلوم أن حاجة النكرة للوصف أشد من حاجتها للإخبار عنها، فلو أخر المسند لظُنَّ أنه الخبر، وإنما قالوا من أول وهلة؛ لأنه قد يعلم أنه خبر بعد التأمل والنظر إلى أنه لم يرد خبر[٢]. ووقع التفريق بين النعت والخبر بالتقديم،لما عُلِمَ من أن النعت لا يتقدم على المنعوت بخلاف الخبر فيجوز أن يتقدم على المبتدأ أو اسم إنَّ، وقد أشار ابن يعقوب المغربي إلى أن هذا يأتي عند اقتضاء المقام تعجيل المراد من الكلام خوف فوات فرصة مثلاً،أو لطلب تحققه فراراً من الذهول عنه للاعتناء بالمدح والتعظيم [٣].وقد ورد في هذه النصوص لغير ذلك كما سترى. وأشير إلى أن هناك نصوصاً تحتمل أكثر من غرض بلاغيٍّ،وقد أشرتُ إلى كل ذلك، ولكني أصنف النص بناء على الغرض الأظهر،وأشير إلى الغرض الآخر في نهاية التحليل على الاعتبار الأول،وهذا أمر شائع عند العلماء.وسبب هذا أن التحليل أمر ذوقي، والذوق أمر تتفاوت فيه النفوس على حسب تمكنها من هذا العلم، ومعرفتها بفنون جيد الكلام.

---

(١) انظر خاتمة المبحث.
(٢) انظر مواهب الفتاح، ج٢، ص١١٤.
(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

## المطلب الأول: التنبيه على أنه خبر لا نعت

**حديث عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما)،أن رسول الله (ﷺ) شرب لبناً، فمضمض، وقال:"إن له دسماً"[١].**

قال في فتح الباري:" فيه بيان العلة للمضمضة من اللبن فيدل على استحبابها من كل شيء دسم".[٢] و أرى أن التقديم كان من أجل التنبيه من أول بدء الكلام على أن الجار والمجرور خبر لا نعت؛لأنه لو أخر المسند ظُنَّ أنه خبر بدءاً، فينتظر الخبر فيفوت الغرض من الإسراع بتمكين المعنى في نفس السامع، وهذا ينبغي ألا يكون غرض المتكلم هنا، إذ الغرض الاعتناء بثبوت الدسم للبن، حتى يسارع للمضمضة منه.

**حديث عبد الله بن مسعود(رضي الله عنه)، قال:كنا نسلم على النبي (ﷺ)، وهو في الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشي سلمنا عليه فلم يرد علينا،وقال:" إن في الصلاة شُغْلاً"[٣].**

قال النووي:" قوله (ﷺ):" إن في الصلاة شُغْلاً". معناه:إن المصلي وظيفته أن يشتغل بصلاته، فيتدبر ما يقوله، ولا يعرج على غيرها، فلا يرد سلاماً ولا غيره".[٤] وقال ابن حجر: وفي رواية" لشغلاً" بزيادة التأكيد. والتنكير فيه للتنويع، أي بقراءة القرآن والذكر والدعاء، أو للتعظيم أي شغلاً، أو لأنها مناجاة مع الله تستدعي الاستغراق بخدمته فلا يصلح فيها الاشتغال بغيره".[٥]

والذي يظهر بعد التأمل في كلام الشارِحَينِ أن المراد من التقديم للظرف أن ينتبه المخاطب إلى أنه خبر لا صفة لـ(شغلاً) ، وقطعاً هذا المحذور قد يتبادر إلى الذهن قبل التأمل في النص إن أخرناه، وإنما قلنا: قبل التأمل؛ لأنه حتماً سيعلم أنه خبر؛ إذ أنه لم يرد في النص خبر، ولكن بهذا التأخير تفوت نكتة وغرض التقديم للمسند وهي طلب تحققه في ذهن السامع اعتناء بتعظيم وإكبار الصلاة، وإجلالاً

---

(١) الحديث رقم (٢٠٣).
(٢) فتح الباري، لابن حجر، ج ١، ص ٤٥٥.
(٣) الحديث رقم (٣١١).
(٤) المنهاج، للنووي، ج ٣، ص ٣٢.
(٥) فتح الباري، ج ٣، ص ١٠٨.

لشأنها، وإعلاءاً لأمرها، واهتماماً بها، وامتثالاً لأمر الخالق بأدائها على الوجه الذي يحبه ويرضى عنه، فهي أولى الأعمال باستغراق العبد فيها استغراقاً كاملاً يصرفه عن أي فعل و عمل سواها. وفـــــــوت الغرض حاصل بانتظار الخبر المتم الفائدة؛ لأن الانتظار ربما يفوت تمكين التعظيم والإجلال في القلب من أول وهلة [١]، وهذا التمكين الذي هو للتعظيم مقصود؛ لأنه أنسبٌ بمقام المدح، والوصفِ بالفضائل والمحاسن.

**حديث عائشة(رضي الله عنها)قالت: دخل أبو بكر، وعندي جاريتان من جواري الأنصار، تغنيان بما تقاولت به الأنصار يوم بُعَاثَ. قالت: وليستا بمغنيتين [٢]. فقال أبو بكر (رضي الله عنه): أمزامير الشيطان في بيت رسول الله (ﷺ) ! ذلك في يوم العيد(٣)،فقال رسول الله(ﷺ):" يا أبا بكر، إن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا" [٤].**

الذي ظهر لي هنا أن التقديم من أجل التنبيه . من أول وقت قول الكلام . على أن المسند خبر لا نعت. وفائدة هذا أن المراد في أصل المعنى من قوله:" إن لكل قوم عيداً". إخبار أبي بكر(رضي الله عنه) بأن لكل جنس وأمة وشعب من الناس، أو طائفة منهم يومَ عيد يفرحون فيه، ويفعلون ما يدل على الفرح والجذل، وإن كان ما يفعلون في ذلك اليوم لا يفعلونه في سائر أيامهم. فلو قيل: إن عيداً لكل قوم، لتُوُهِّم من أول وهلة أن الظرف خبر لا نعت، فيفوت من أول الأمر الغرض من تمكين هذا المعنى في نفس الصديق (رضي الله عنه)،والغرض إعلامه وأذانه بجواز وإباحة وحل ما فعلته ابنته عائشة (رضي الله عنها) في ذلك اليوم إذ هو يوم عيد، أي يوم سرور شرعي فلا ينكر فيه مثل هذا؛ لأنه (رضي الله عنه) ظن أنهما فعلتا ذلك بغير علمه (ﷺ)؛ لكونه دخل فوجده مغطى بثوبه كما في رواية أخرى للبخاري. ويحتمل أنه رأى النبي نائماً،فخشي أن يستيقظ فيغضب على ابنته،فبادر إلى سد الذريعة. [٥]

---

(١) انظر مواهب الفتاح، لابن يعقوب المغربي، ج٢، ص ١١٥.
(٢) بما تقاولت به الأنصار: أي بما قاله بعضهم لبعض من فخر أو هجاء. يوم بعاث: هو اسم حصن وقعت الحرب عنده بين الأوس والخزرج،وكان به مقتلة عظيمة، وانتصر الأوس على الخزرج، واستمرت المقتلة مائة وعشرين سنة،حتى جاء الإسلام فألف الله بينهم ببركة النبي(ﷺ)".انظر كتاب اللؤلؤ والمرجان ج١ص ١٧١.
(٣) الظاهر أن جملة: ذلك يوم العيد. من كلام السيدة أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها).
(٤) الحديث رقم (٥١٢).
(٥) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، كتاب العيدين، باب الحراب والدَّرَق يوم العيد، حديث رقم (٩٤٩). ج ٢، ص ٦٢٤، ٦٢٧، ٦٢٩.

**" لو أن لابن آدم ملء وادٍ مالاً لأحب أن له إليه مثله، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب"[١].**

تقديم (لابن آدم) للتنبيه على أنه خبر لا نعت من أول الأمر؛ لأن المقام . وهو وصف حال ابن آدم مع المال بإثبات الحرص، والطمع، والتطلّب لازدياد المال عنده، وبيان أنه أمر جُبِل عليه، واستقر في سوس قلبه، واستحكم في نفسه، وصار كإحدى طبائعها . يقتضي ويحتم التعجيل للمراد من الكلام. والمراد الذم لهذا الخُلُق المفضي لسخط الله، المؤدي لشديد عقابه، والحث على مفارقته، والحض على تركه، والدعوة إلى التوبة إلى الله من هذا الخَصْلة القبيحة، والشِّمال الدنيئة، والخَلَّة الخسيسة. فلو قيل: لو أن ملء وادٍ مالاً لابن آدم لأحب. .. . ظن بدءاً أن المجرور نعت، فينتظر الخبر، أو أن الجملة الفعلية هي الخبر، فتلتبس بجواب لو، وهذا كله . وإن كان سيعلم عدم صحته بالتأمل . يفوّت الغرض من تمكين الإخبار عن ابن آدم بما أخبر عنه في قلب السامع، وامتلاء قلبه بذلك؛ لأن الانتظار يخل بامتلاء القلب من أول وهلة كما قال العلماء[٢]، بل هو المشاهد.

**حديث جابر(ﷺ)، قال: قال النبي(ﷺ):" من يأتيني بخبر القوم؟". يوم الأحزاب. قال الزبير: أنا. ثم قال:" من يأتيني بخبر القوم ؟" قال الزبير:أنا. فقال: النبي (ﷺ):" إن لكل نبي حوارياً، وحواريَّ(٣) الزبيرُ"[٤].**

لا شك أن تقديم المسند هنا كان من التنبيه من أول إلقاء الكلام على أنه خبر لا نعت. فلو قيل: إن حوارياً لكل نبي، ربما ظن السامع من أول وهلة أن المجرور نعت فينتظر الخبر؛ لأن المسند إليه نكرة، وحاجة النكرة إلى الوصف أشد من حاجتها إلى الخبر،بخلاف ما لو تقدمت فلن يظن ذلك؛ لأن النعت لا يتقدم على المنعوت[٥]. ومعلوم أن تدقيق النظر، وإمعان البصر، وإعمال الفكر تؤدي إلى أن المجرور خبر لا نعت، ولكن هذه الأشياء لا تكون من أول لحظة قول الكلام، فهي تحتاج إلى وقت قد يفوت به الغرض من تقديم المسند،وهو رسوخ هذا المعنى في ذهن

---

(١) الحديث رقم (٦٢٣).
(٢) شروح التلخيص، ج ٢، ص ١١٥.
(٣) قال النووي في المنهاج مجلد ٥، ج ٣، ص ١٩٨:" الحواري: الناصر، وقيل الخاصة".
(٤) الحديث رقم (١٥٦٤).
(٥) انظر حاشية الدسوقي على مختصر سعد الدين التفتازاني، ج ٢، ١١٤.

السامع سريعاً، حتى يبنى عليه ما بعده، وهو كون الزبير (ﷺ) انفرد بهذه الصفة، وهذا . أي كون الزبير انفرد بهذه الصفة . هو الأمر الذي سيق من أجله الكلام، وإنما أخر هذه الجملة على تلك، لما في تلك الجملة من التشويق إلى هذه الجملة التي هي المقصود من الكلام. لأن المقام لما كان في مدح الزبير (ﷺ) وأريد تأكيد مدحه، وغزارته بأن لا يزول عن الخاطر هو وأوصافه اللازمة قدمت الجملة الأولى، فتشوقت النفوس لمعرفة من الذي اختص بهذه الصفة مع آخر الأنبياء عليه الصلاة والسلام. فجيء بالجملة الأخرى فصادفت في القلب أفضل موقع، وتمكنت أحسن تمكن في تعظيم وتبجيل سيدنا الزبير (ﷺ).

**" إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً. من أحصاها دخل الجنة"**[1].

قال محمد فؤاد:" واتفق العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه (سبحانه وتعالى). فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين. وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين، من أحصاها دخل الجنة. فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء".[2]

ظاهر ما يفضي إليه التأمل في هذا النص المبارك، أن التقديم للمسند كان من أجل التنبيه على أن المسند خبر لا نعت من أول الأمر، لأنه لو عكس تركيب الجملة، لتوهم أنه نعت؛ لأن المسند إليه نكرة، وهي تطلب النعت طلباً حثيثاً، وهذا التوهم قد يخل بامتلاء القلب من أول حين البدء بإلقاء الكلام بتعظيم الممدوح المنعوت بنعوت الكمال، والموصوف بأوصاف الجمال، المعظم أبداً وعلى كل حال. وهو الله، جلَّ في علاه. فلو قدم الاسم فات امتلاء القلب بمعاني هذه النعوت من أول لحظة التكلم بالكلام؛ لأن الأنسب بمقام تعظيم ملك الملوك، وتبجيل أعظم العظماء أن يقدم ذكره، وإن كان الترتيب الأصلي للكلام يقتضي تأخيره، ما لم يمنع مانع نحوي، أو ما يوهم خلاف المراد كما هو مقرر عند علماء هذا الشأن. [3] ولعل فيما قاله محمد فؤاد ما يأخذ بيد هذا التحليل، من أن الغرض هو التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت

---

(1) الحديث رقم (١٧١٤).
(2) اللؤلؤ والمرجان، ج ٣، ص ٢٢٠.
(3) انظر دلائل الإعجاز، ص ١٠٧، ١٠٨.

من أول وهلة. بيان هذا لما كان أصل الغرض والغايةِ من الجملة الإخبارَ أن من أحصى هذه الأسماء دخل الجنة؛ دل هذا على أن هذه الأسماء شأنها خطير، وأمرها جليل. وما ذلك كذلك إلا لأنها أسماء لله تعالى. إذاً أصلُ أصلِ الغاية من الكلام تعظيم الله تعالى ، بل هذا مفهوم من مجرد إحصاء هذه الأسماء؛ لأن كلاً منها فيه وصف لله تعالى بأسمى وأرفع النعوت، وأجل وأعظم الأوصاف.

## المطلب الثاني: التخصيص

**حديث أسامة بن زيد(رضي الله عنهما)،قال:أرسلت ابنة النبي(ﷺ) إليه، أن ابناً لي قبض فأتنا، فأرسل يقرئ السلام،ويقول:" إن لله ما أخذ، وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب"[١].**

قال يحيى النووي:" معناه الحث على الصبر والتسليم لقضاء الله تعالى، وتقديره: إن هذا الذي أخذ منكم كان له لا لكم، فلم يأخذ إلا ما هو له، فينبغي ألا تجزعوا كما لا يجزع من اسْتُرِدَّتْ منه وديعةٌ أو عاريةٌ".[٢] وقال ابن حجر:"قدم ذكر الأخذ على العطاء . وإن كان في الواقع متأخراً . لما يقتضيه المقام، والمعنى أن الذي أراد الله أن يأخذه هو الذي كان أعطاه، فإن أخذه أخذ ما هو له، فلا ينبغي الجزع؛ لأن مُسْتَوْدَعَ الأمانة لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت منه. ويحتمل أن يكون المراد بالإعطاء إعطاء الحياة لمن بقي بعد الميت، أو ثوابهم على المصيبة، أو ما هو أعم من ذلك. و(ما) في الموضعين مصدرية، ويحتمل أن تكون موصولة والعائد محذوف، فعلى التقدير الأول: لله الأخذ والعطاء، وعلى الثاني لله الذي أخذه من الأولاد وله ما أعطى منهم، أو ما هو أعم من ذلك".[٣]

و بناء على ما قرره الدسوقي وغيره من أن تقديم المسند لا يقال فيه:قدم لغرض كذا إلا إذا كان جائز التأخير على المسند إليه.[٤] أقول: تحليل هذا النص المبارك من حيث تقديم الجار والمجرور له توجيهان: الأول . ظاهر ما قاله الإمام النووي في تقدير قوله (ﷺ):"إن لله ما أخذ، وله ما أعطى". أن (ما) موصولة، وهذا عينه هو ثاني اثنين في تفسير الحافظ ابن حجر لـ(ما)، وعلى هذا لا يمكن أن نقول:إن تقديم المسند كان من أجل التخصيص. مع كون تقديم المسند دل على التخصيص هو الذي يفهم من كلام الشارحَينِ وغيرهما من شراح الصحيحين، كما هو ظاهر. وهذا تعارض مع ما نص عليه الدسوقي؛ لأنه اشترط جواز تقديم المسند إليه، فمفهوم كلامه في مثل هذا النص: لا يمكن أن نقدم المسند إليه؛ لما في ذلك من

---

(١) الحديث رقم (٥٣١).
(٢) المنهاج، ج٣، ص ٤٩٦.
(٣) فتح الباري، ج ٣، ص ٢٢٨.
(٤) حاشية الدسوقي، ج٢، ص ١١٥. وكان ينبغي عليه أن يستثني التقديم للتنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت من أول الأمر.

عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، وهذا من المواضع التي لا يجوز فيها أن يتقدم خبر إن على اسمها.[١]. إذاً لا يصح أن نقول: إن ما أخذ لله، وما أعطى له؛ لكون الفاعل ضميراً يعود (لله) وهو متأخر لفظاً ورتبةً. وللإجابة عن هذا يقال: أن يكون تقدير الكلام أنه من باب ذكر الضمير دون أن يجري له ذكر لمتعلقه عند وضوحه، وأمن عدم اللبس، وهو أسلوب عربي كثير الاستعمال،والورود في كلامهم، بل ورد في الكتاب العزيز، وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴾ [٢]، فالضمير هنا يعود إلى الروح ولم يجر لها ذكر. ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا [٣] في﴾ أحد القولين في مرجع الضمير في ﴿ جَلَّاهَا ﴾ فقد قال الإمام الزمخشري:". .. وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للأرض. وإن لم يجر لها ذكر، كقولهم:أصبحت باردة، يريدون الغداة. وأرسلت، يريدون السماء".[٤] فعلى هذا يكون الضمير يعود لله وإن لم يجر له ذكر، وعلى هذا لا إشكال في كون التقديم يفيد التخصيص؛ لأن تقديم المسند إليه جائز، فَيَسْلَم للدسوقي ما اشترطه

الثاني . إن هذا الاعتراض . وإن كان يجري على اعتبار أن ما مصدرية أيضاً . يجاب عنه بمثل ما سبق، لكن بناء على تأويل ابن حجر فالتقديم للمسند يفيد التخصيص، وهذا على أن ما مصدرية. والغاية من التخصيص والقصر التسلية، وحسن تعزيته (ﷺ) لابنته، وحضُها على ما يوجب لها الأجر العظيم، والثواب الكثير، والعاقبة الحسنى،والمآل الرابح، والمعاد الفائز، ألا وهو الصبر على فقد ابنها.

**حديث ابن عمر،قال: أَهَلَّ النبي(ﷺ)بالحج وأهللنا به معه، فلما قدمنا مكة قال:" من لم يكن معه هدي فليجعلها عمرة" . وكان مع النبي (ﷺ) هدي، فقدم علينا علي بن أبي طالب من اليمن حاجاً، فقال النبي (ﷺ) :" بم أهللت ؟ فإن معنا أهلك" . قال:**

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري ت (٧٦١هـ) ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، للعلامة المحقق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الجيل، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م. ج ١، ص ٣٣٣.
(٢) سورة الواقعة، الآية ٨٣.
(٣) سورة الشمس، الآية ٣.
(٤) الكشاف، ج ٤، ص ٢٥٨.

**أهللت بما أهل به النبي(ﷺ). قال:" فأمسك فإن معنا هدياً"**[1].

سأحلل جملة"فإن معنا أهلك"، أما"فإن معنا هدياً" تركتها؛ لأن الغرض فيها كالغرض السابق، ولم ألتزم الإحصاء. والظاهر أن تقديم الظرف كان من أجل التخصيص، والقصر. فكأنه (ﷺ) قال:إن أهلك معنا وفي صحبتنا لا مع غيرنا؛ لأنه ربما توهم سيدنا عليٌّ أن أهله بالمدينة، وليسوا في معية رسول الله (ﷺ)؛ لذا قال: إن معنا أهلك، أي ليسوا مع غيرنا.

**حديث أبي هريرة، أن رجلاً أتى النبي (ﷺ) يتقاضاه فأغلظ، فهم به أصحابه، فقال رسول الله (ﷺ):" دعوه؛ فإن لصاحب الحق مقالاً" ثم قال:" أعطوه سناً مثل سنه" قالوا: يا رسول الله، إلا أمثل من سنه. فقال:" أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاءً"**[2].

التقديم في قوله:"من خيركم" جاء من أجل التخصيص؛ أي تخصيص وقصر أحسن الناس قضاء بكونه من خير الناس، أي بعض خير الناس، وأفضلهم، وأمثلهم، لا يتعدى ذلك إلى كونه مساوياً للناسِ في الأجر، والثواب، والمنزلة الرفيعة عند الله، والمكانة العالية في الجنة،الناسِ الذين ليسوا بأحسنَ الناس قضاء. ولا يخفى ما في ذلك من الحث والدعوة على أن يكون المؤمن أحسن المؤمنين قضاء.

وقد يكون

التقديم للتشويق إلى ذكر المسند إليه، لما جُبِلَتْ عليه النفوس من حبها وحرصها على نيل الخيرية على من سواها.

**حديث عبد الله عمرو (رضي الله عنهما)، قال: لم يكن النبي (ﷺ) فاحشاً ولا مُتَفَحِّشاً، وكان يقول:" إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً"**[3].

هذا الحديث مر نحوه قريباً،وقد تقدم أن التقديم فيه يفيد التخصيص والقصر، أي قصر أحسن الناس أخلاقاً على كونه من خير الناس لا يتعداها إلى كونه مثلهم بَلْهَ دونهم، فهو من باب قصر الصفة على الموصوف . والحق أن التفتازاني نص على أن الأمثلة التي أوردها في شرحه على التلخيص من باب قصر الموصوف على الصفة وكذا

---

(1) الحديث رقم (٧٧٣).
(2) حديث رقم (١٠٣٢).
(3) الحديث رقم (١٥٠٠).

الأمثلـــة التـــي ذكرهـــا ابـــن يعقـــوب [١]، وأنـــا أرى أن الـــنص الشـــريف مثلهـــا.

وهذا الحديث وإن كان يشبه الحديث السابق، إلا أن هذا أكثر اطلاقاً وعموماً من ذاك؛ لأن هذا شامل ومحيط لكل أنواع الأخلاق. وحسن أداء الدَّيْن يندرج تحت الوصف بحسن الأخلاق، وينضوي في لوائها. ولا مانع . أيضاً . من كون التقديم للتشويق إلى ذكر اسم إنَّ لما مضى.

**"إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، إلا خُلَّة الإسلام. لا يبقينَّ في المسجد خَوْخَة[٢] إلا خَوْخَة أبي بكر"[٣].**

قال النووي:" قوله (ﷺ) :" إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر". معناه: أكثرهم جوداً وسماحة لنا بنفسه وماله".[٤] قلتُ: ظاهر كلام الإمام النووي أن (مِنْ) زائدة في المعنى، أي أن أبا بكر(ﷺ) ليس بعض أمنِّ الناس، بل هو أمنُّ الناس على الاطلاق. إذاً تقديم المسند كان للتخصيص، أي تخصيص سيدنا أبي بكر (ﷺ) بكونه أمنَّ الناس على رسول الله (ﷺ) في صحبته له وماله. وهذا الحديث مع ما أفضى إليه التخصيص بالتقديم من التنويه برفعة شأن الصديق (ﷺ)، وعلوِّ كعبه،وانفراده بما فيه المفاخر كلها، والمآثر أجمعها، فقد يفهم منه . والله أعلم . الإشارة إلى كونه خليفة رسول الله (ﷺ) ، وكل الأوصاف فهمتها من التخصيص .

وأرى ألا مانع من أن يكون التقديم للتشويق إلى المسند إليه؛ لما في المسند من طول، والطول في المسند هو ما اشترطه علماء الفن لصحة إفادة التقديم التشويق إلى ذكر المسند إليه، وفي التقديم اعتناء بشأن أبي بكر وإعلاء لقدره، وتأكيدُ مدحه، وغزارتُه، وتفضيلُه على غيره، وتعظيمُ أوصافه.

---

(١) مختصر التفتازاني على التلخيص، ج ٢، ص ١١٣. مواهب الفتاح، ج ٢، ص ١١٣.
(٢) الخوخة: واحد الخَوْخ، الباب الصغير بين البيتين أو الدارين.
(٣) الحديث رقم (١٥٤١).
(٤) المنهاج، المجلد ٥، ج ٣، ص ١٦٢.

## المطلب الثالث: التشويق إلى المسند إليه

**حديث أنس(ﷺ)، قال: كسرت الرُّبَيِّعُ، وهي عمة أنس بن مالك، ثنية جارية من الأنصار، فطلب القوم القِصاص، فأتوا النبي(ﷺ)، فأمر النبي(ﷺ)بالقِصاص؛ فقال أنس بن النضر،(عم أنس بن مالك): لا والله ! لا تكسر سِنُّها يا رسول الله، فقال رسول الله (ﷺ):" يا أنس، كتاب الله القِصاص" فرضي القوم، وقبلوا الأَرْش(١). فقال رسول الله (ﷺ):" إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره"(٢).**

الذي يظهر لي أن الغرض من تقديم المسند(من عباد الله) هو التشويق إلى ذكر المسند إليه؛ ليتمكن الخبر في ذهن السامع. بيان هذا أن النبي (ﷺ) لما أمر بالقصاص، كان ردة فعل سيدنا أنس بن النضر(ﷺ) عجيبة غاية العجب؛ إذ هو لم ينفِ وقوع القصاص فقط، بل أقسم على ذلك. فلو تم القصاص لقيل: رجل حركته مشاعر الأخوة، وعاطفة الدم، وحبُّه لأخته، فستعظم ذلك، ولم يتمالك نفسه إذ سمع ما سمع من وليِّ الأمر، والحاكم(ﷺ) فقال ما قال. ولم يكن هذا اعتراضاً منه على حد من حدود الله تعالى، أو تعطيلاً لشريعة رسول الله (ﷺ)، كيف يصدر عنه ذلك وهو صاحب رسول الله (ﷺ) ! ولكن لما كان الأمر كما أراد سيدنا أنس بن النضر(ﷺ) كان هذا مكان العجب والدهشة ما الذي حصل، وكيف تم ذلك مع طلب أهل الجارية للقصاص، وحرصهم على ذلك ؟ ماذا فعل عبد الله هذا حتى رضي أهل الجارية بالأَرْش ؟ فلما قال (ﷺ):" إن من عباد الله" حتماً تتحرك النفس لمعرفة خبر بعض عباد الله هذا، والعلم بشأنه، ويتشوق القلب لإدراك حاله؛ هذا التشوق والتشوف جاء لأن محور الحديث ومحله هو ما حصل لأنس بن النضر (ﷺ). وأرى الغاية من كل الخبر إثبات الولاية لأولياء الله الصالحين، وأن لهم عند ربهم ما يشاءون، والحث على أن يكون العبد المسلم منهم.

---

(١) الأَرْش: بوزن العَرْش دية الجِراحات. مختار الصحاح، مادة: أ ر ش، ص٣٠.
(٢) حديث رقم (١٠٩٠).

"إِنَّ مِـنْ أَشْـرَاطِ السَّـاعَةِ أَنْ يُرْفَـعَ الْعِلْمُ،وَيَثْبُـتَ الْجَهْلُ،وَيُشْـرَبَ الْخَمْرُ،وَيَظْهَـرَ الزِّنَـا"[١].

قال ابن حجر :" أشراط الساعة: علاماتها. وقال: قوله:" أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ". هو في محل نصب؛ لأنه اسم إن".[٢] والذي يظهر أن تقديم المسند كان للتشويق للمسند إليه . تحليل هذا:إن السامعَ المؤمنَ حقاً قلبُه معلقٌ بالله تعالى، وعقلُه مشغول باليوم الآخر، ونفسه همها النجاة من ساعة يوم القيامة. متى يلقى ربه؟ وكيف يلقاه؟ وعلى أية حالة يقابله ؟ فالساعة لا يعلم دنو وقتها إلا الله تبارك وتعالى، ولكن لها علامات يعرف بها اقتراب وقتها، ويعلم بها حينها، ﴿أَزِفَتْ الْآزِفَةُ﴾[٣]، ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [٤] فلما كان هذا حالَه حتماً لو قيل له: إن من أشراط الساعة. تشوقت نفسه لمعرفة اسم إن، وتشوف قلبه لمعرفة المسند إليه، فلما قيل: كذا وكذا، استقر ذلك في نفسه استقراراً؛ لأن الغرض من التشويق أن يكون المشوَّق إليه يقع في النفوس موقعاً حسناً، ويكون له فيها من محل القبول وفضل التمكن الشيء الكثير؛ وذلك لأن الحاصل بعد الطلب أعز وأمكن من المنساق بلا تعب. [٥] وهو يكون في مواضع منها ما كان مثل ما تقدم . أي معرفة ماهية أشراط الساعة . إيذاناً بأنها (أي أشراط الساعة) لا تزول عن الخواطر، ولا تحيد عن القلوب.

---

(١) الحديث رقم (١٧٠٩).
(٢) فتح الباري، ج ١، ص ٢٦١.
(٣) سورة النجم، الآية ٥٧.
(٤) سورة القمر، الآية ١.
(٥) مواهب الفتاح، ج ٢، ص١١٦.

## المطلب الرابع: التعجيل بالمسرة

**حديث أبي موسى (ﷺ)، قال: كنت أنا وأصحابي الذين قدموا معي في السفينة نزولاً في بقيع بُطْحَان،والنبي(ﷺ) بالمدينة، فكان يتناوب النبي (ﷺ)عند العشاء كل ليلة نفر منهم، فوافقنا النبي عليه السلام، وله بعض الشغل في بعض أمره، فأعتم بالصلاة حتى ابْهَارَّ[1] الليل، ثم خرج النبي (ﷺ) فصلى بهم، فلما قضى صلاته، قال لمن حضره:" على رِسْلكم، أبشروا، إن من نعمة الله عليكم أنه ليس أحد من الناس يصلي هذه الساعة غيركم" ... قال أبو موسى(ﷺ): فرجعنا، ففرحنا بما سمعنا من رسول الله(ﷺ)[2].**

قال ابن حجر (رحمه الله):"الشغل المذكور كان في تجهيز جيش. وقال:وسبب فرحهم علمهم باختصاصهم بهذه العبادة التي هي نعمة عظمى مستلزمة للمثوبة الحسنى، مع ما انضاف إلى ذلك، من تجميعهم فيها خلف رسول الله (ﷺ)".[3] ما يتضح لي بعد هذا النقل من كلام الشارح، والتمعن في الحديث أن المراد من تقديم المسند على المسند إليه هو التعجيل بالتفاؤل، وهو أن يسمع المخاطب من أول وهلة ما يسره[4]. فكأنَّ المعنى أن النبي (ﷺ) لمَّا سَرَّه أصحابُه بانتظارهم الصلاة إلى ذلك الوقت المتأخر، وقرت عينه بصبرهم على المشقة الحاصلة بتأخيرها، وداخله الرضا عنهم لقوة عزيمتهم على أداء العبادة على وجهها الأكمل، وصورتها الفضلى، وهيئتها المثلى، ورأى اختصاصهم بنعمة عظيمة، ومِنَّةٍ كبيرة، وأَلاً[5] جسيمة - بدأ بذكر الذي به التفاؤل، وبسببه يحصل الفرح، ويتم الجَذَل، ويكتمل السرور، مع كون القلب معلقاً به والنفس منوطةً به، وهو منتهى التَّطَلُّب، ألا وهو نعمة الله عليهم. أما اختصاصهم بها في وقت من الأوقات فهي نعمة أخرى، ومزية عظمى، كانت كالنور على النور؛ لذا تجد سيدنا أبا موسى(ﷺ) قال: فرجعنا، ففرحنا بما سمعنا من رسول الله(ﷺ). ولاشك أن سياق الكلام يدل على أن الفرح كان بعد أن لم يكن.

---

(1) ابْهَارَّ الليل: انتصف، أو طلعت نجومه واشتبكت، أو كثرت ظلمته. فتح الباري ج٢ ص٧٠.
(2) الحديث رقم (٣٧٥).
(3) فتح الباري، ج ٢، ص ٦٩،٧٠، ٧١.
(4) مواهب الفتاح، ج٢، ص ١١٥. وحاشية الدسوقي، ج٢، ص١١٥.
(5) ألاً: واحدة الآلاء، وقد تكسر همزتها وتكتب بالياء (إلىً)، مثل: مِعَىً وأمعاء. مختار الصحاح ، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد المحسن بن عبد القادر الرازي، تحقيق د. عبد الفتاح البركاوي، مطبعة شركة الأمل للطباعة والنشر، دون تاريخ وذكر للبلد. مآدة: أ ل ا، ص ٣٣.

ختاماً جملة النصوص التي وردت في هذا المبحث أربعة عشر حديثاً وهي: التنبيه على أنه لا خبر لا نعت، وفيه ستة نصوص، والتخصيص وفيه خمسة أحاديث، وفيه أحاديث تقبل غرضاً آخر، وهو التشويق، وهي ثلاثة أحاديث، والتشويق أصالةً وفيه نصان، والتعجيل بالتفاؤل والمسرة وفيه حديث واحد فقط.

## المبحث الثالث

## تقديم خبر كان

خبر كان أقول فيه ما قلته في خبر (إنَّ) من حيث كونُه لم يمثل له العلماء بأمثلة هي خاصة به، فما بينتُ فيه الغرضَ البلاغيَّ من أمثلة قسته على النصوص المشابهة التي أوردها العلماء في باب خبر المبتدأ فيما ساقوه من شواهد في جيد الكلام نثراً ونظماً، وما أوردوه من أمثلة، ولكن أعملت فيها ذوقي وتأملي، ومن ثَمَّ حكمت على الغرض بأنه كذا . والأغراض التي وردت في هذا المبحث قد ذكرها العلماء كلها، ولم أقف على نصٍ بخلاف ما قالوه في ما وقفت عليه من النصوص، التي تقدم فيها خبر كان على اسمها، وهذه النصوص بضع عشرة نصاً، ويلاحظ أن هذه النصوص فيها اهتمامٌ بالمتقدِّم، وهذا وإن كان قاعدة عامة في التقديم لكنه هنا أظهر من غيره، لا سيما في مطلب الاختصاص. وهو أحد ثلاثة أغراض وردت في المبحث، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لاحظت أن الأغراض التي من أجلها سيق الكلام، والتي يمكن أن نقول: إنها الأغراض الأصلية في تقديم خبر كان على اسمها . انحصرت في التوجيه والإرشاد وورد فيه خمسة نصوص، والترهيب وفيه نصان، والإخبار بما فيه بيان عن كبير فضل الله ورحمته بعباده، وفيه نص واحد، والترغيب في طاعة الله تعالى بإخلاص العمل المنوط بالخادم وإن كان ظاهره أنه ليس عبادة، وفيه نص واحد. وهذه الأغراضُ الأصليةُ تَنَوَّعَ وجودُها في الأغراض البلاغية للتقديم، وسأشير لدلالة هذا التنوع في نهاية الفصل.

### المطلب الأول: التخصيص

**حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)،أن رسول الله(ﷺ) لما بعث معاذاً (رضي الله عنه) على اليمن قال:" إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ اللهِ،فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم،فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله قد فرض زكاة من أموالهم، وترد على فقرائهم،فإذا أطاعوا بها فخذ منهم،فتوقَّ كرائم أموال**

**الناس**"[1].

قال العيني:"أولَّ بالنصب؛لأنه خبر كان،واسمه قوله:"عبادةُ اللهِ""[2]. وأرى أن تقديم خبر كان على اسمها أفاد التخصيص، أي تخصيص وقصر عبادة الله على كونها أول ما يجب أن يدعوهم إليها سيدنا معاذ (رضي الله عنه).إذاً التقديم هنا على ما هو الكثير والغالب في تقديم المسند[3]،فالمعنى أن عبادة الله وحده،وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد،وأنه الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد،ولم يولد،ولم يكن له كفواً أحد هو أول ما يجب عليك أن تدعوهم إليه،دون الدعوة إلى سائر أركان الدين الإسلامي الأخرى.فلو قدم المسند إليه فلن يؤدي الكلام المعنى الذي أداه تأخيره.وهذا مفهوم كلام يحيى العلوي:" تقديم خبر المبتدأ عليه في نحو:قائم زيد، يفيد الاختصاص؛ فإنك بتقديمه تفيد أنه مختص بهذه الصفة من يبن سائر صفاته من الأكل والضحك وغيرها،أو تفيد تخصيصه بالقيام دون غيره من سائر أمثاله".[4]

" **ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**"[5].

قال ابن حجر:" قال بعض العلماء: إنه يُكْرَهُ الخوضُ في تأويله. ثم قال وأرى أن معناه: ليس على سنتنا وطريقتنا".[6] وأقول الذي يظهر لي أن التقديم للتخصيص، أي قصر من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية على عدم كونه من النبي (صلى الله عليه وسلم)، بناء على أن الضمير (نا) للمفرد، أو على عدم كونه من المسلمين، بناء على أن الضمير للجماعة كما هو أصل استعماله. ولا تجد زجراً أكبر من هذا، ولا أعظم منه في النهي عن هذه الأفعال. لأن المرء إن لم يكن من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أو لم يكن من المؤمنين،فهو من غيرهم، وإن كان من غيرهم، فما أخسره في الدنيا والآخرة!

وهذا المعنى لن يكون هو نفسه لو قيل: ليس من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية منا؛ لذا تجد الإمام الحافظ أحمد بن علي بن

---

(1) الحديث رقم (١١).
(2) عمدة القاري، ج ٩، ص٢٥.
(3) مواهب الفتاح، ج ٢، ص ١١٣.
(4) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، راجعه جماعة من العلماء، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج٢، ص٦٨.
(5) الحديث رقم (٦٥).
(6) انظر فتح الباري، ج ٣، ص ٢٠٠.

حجر (رحمه الله) يقول:" فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغةُ في الردع عن الوقوع في مثل ذلك، كما يقول الرجل لولده عند معاتبته:لستُ منك، ولستَ مني".[١]

**" ليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمس ذود صدقة، وليس فيما دون خمس أوسق صدقة"[٢].**

قوله:"ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة". في هذا النص الشريف يصلح مثالاً لما قاله محمد أبو موسى من كون الجار والمجرور الذي دخل عليه النفي يدل على القصر[٣]. لأن المراد قصر الصدقة على الخمس، أو ما فوق الخمس،قال النووي:" وفي الحديث فائدتان: إحداهما: وجوب الزكاة في هذه المحدودات. الثانية: أنه لا زكاة فيما دون ذلك".[٤]

**حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)، قال: كان رسول الله (ﷺ) في سفر، فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه؛ فقال:" ما هذا ؟" فقالوا: صائم. فقال:" ليس من البر الصوم في السفر"[٥].**

جاء في معنى قوله:" ليس من البر". ليس هو أبر البر؛ لأنه قد يكون الإفطار أبر منه، إذا كان في حج أو جهاد. [٦] هذا الكلام مبني على رأي الجمهور من أن الصوم أفضل لمن قدر عليه، ولم تحصل له مشقة عظيمة، كما يفهم من كلام الحافظ ابن حجر[٧]

إذاً تقديم خبر ليس على اسمها كان لأجل التخصيص والقصر، قصر الصوم في السفر لمن تقع له مشقة فيه على كونه ليس من أبر البر، لا يتجاوز ذلك إلى كونه من البر، وإنما قلنا:من أبر البر؛ لأن الصوم نفسه فيه أجر كبير، فهو لله، وهو يجزي به، فهو بر، لكنه هنا ليس أفضلَ وأكبرَ أنواعِ البرِّ. والظاهر أنه قصر

---

([١]) المرجع السابق، نفس الصفحة.
([٢]) الحديث رقم (٥٦٧).
([٣]) دلالات التراكيب، للدكتور محمد محمد أبو موسى، مطبعة دار المعلم، القاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٧٢. .
([٤]) المنهاج، المجلد ٣، ج ١، ص ٥٦.
([٥]) الحديث رقم (٦٨١).
([٦]) شرح ابن بطال على صحيح البخاري، للإمام أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، ت (٤٤٩هـ)تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج ٤، ص ٧٣.
([٧]) فتح الباري، ج ٤، ص ٢٦١ـ ٢٦٤.

قلب؛ لأن سياق النص يؤكد أن المشقة حاصلة بصيام الرجل؛ لأن الناس ازدحموا عليه لما حصل له من التعب، وظُلِّلَ عليه لما بلغه من جهد شديد ، ويبدو أن الصائم كان يعتقد أن الصوم أفضل وأكثر ثواباً، بدليل أن الصائم ظل على صيامه على الرغم من المشقة الشديدة التي وجدها من الصيام، إلى أن قال رسول الله(ﷺ) ما قال. ولا يخفى ما في تقديم (ليس من البر) الاهتمام به؛ لأن شروع المؤمن الصادق مع ربه، المراقب له في كل أوقاته في أي عبادة؛ إنما كان طلباً للبر، وسعياً إليه .

**المطلب الثاني: التنبيه على أنه خبر لا نعت**

**" ليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك"[١].**

قال الدكتور محمد أبو موسى:" ويُفْهَمُ من كلام البلاغيين أن النفي حين يدخل على المسند الجار والمجرور المقدم، تكون دلالته على القصر دلالة لازمة".[٢] لكن بناء على الاطلاق في كلامه يكون التقديم هنا من أجل القصر،أي قَصْر عدم النذر فيما لا يملكه ابن آدم على كونه على ابن آدم لا يتجاوزه إلى غيره، وهذا غير واضح الدلالة في المراد؛ لأن القصر إما أن يكون قصر موصوف على صفة، أو صفة على موصوف، وفي الحالين إما حقيقياً أو إضافياً، وظاهر الكلام أن هذا من باب قصر الموصوف على الصفة. وقصر الموصوف على الصفة الحقيقي لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء بل هو محال[٣] فلم يبقَ إلا قصر الموصوف على الصفة الإضافي، وهذا لا يمكن تصوره هنا؛ لأنه لابد فيه من أن يكون بالإضافة إلى معين[٤] يقابل المذكور وينصرف الذهن إليه.

هذا، وقول أبي موسى . أيضاً. يصادم ظاهر ما قاله الدسوقي:" ومحلُ كونِ تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الحصر ما لم يكن المبتدأ نكرة، وقدم عليه الخبر، وإلا فلا يفيد".[٥] ويمكن الإجابة عن هذا بأن قصد الدسوقي تقديم الخبر في الكلام المثبت. وما أراه أن تقديم الخبر هنا ليس للقصر، وإنما هو للتنبيه من أول الأمر أنه خبر لا نعت؛ لأنه لو أُخِّرَ الخبرُ لظُنَّ أنه نعت من أول وهلة فينتظر الخبر، فتفوت الفائدة بهذا الانتظار، وهي تمكين هذا المعنى في قلب من لم يكن يعلم ذلك، فيحمد الله على اعتناقه هذا الدين؛ لأنه دين يسر وتخفيف وعدم حرج. ﴿هُوَاجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[٦] وقال الله تبارك وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.[٧]

---

([١]) الحديث رقم (٧١).
([٢]) دلالات التراكيب، .
([٣]) مختصر التفتازاني، ج ٢، ص ١٧٢.
([٤]) شروح التلخيص، ج ٢، ص ١٦٧.
([٥]) حاشية الدسوقي، ج ٢، ص ٢٠٢.
([٦]) سورة الحج، الآية ٧٨.
([٧]) سورة البقرة، الآية ١٨٥.

**"ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان(١)، ثم ينظر فلا يرى شيئاً قدامه، ثم ينظر بين يديه، فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة"**[٢].

قوله:" ليس بين الله وبينه ترجمان". الظاهر أن هذه الجملة جواب لسؤال اقتضه الأولى، فنزلت الأولى منزلة السؤال، لذا فصلت الثانية. وهذا من مواضع الفصل. [٣] وتنزيل السؤال المقدر منزلة الواقع كان لنكتة وهي إغناء السائل بلسان الحال عن أن يسأل بلسان المقال؛ كراهية أن ينقطع كلامه (ﷺ) بكلام السائل، فيفوت انتساق الكلام واتساقه، وهذا الانتساق والاتساق مقصود؛ لأن المراد ألا ينسى منه شيئاً، لأن المقام يقتضي تعظيم المعنى المترتب على الكلام السابق واللاحق لجملة (ليس بينه وبين الله حجاب). وأرى أن السؤال جاء في الأصل لأن المؤمن تقرر عنده أن الله لا يشبه خلقه، فقد قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [٤]. إذاً كيف يكون كلامه مع خلقه يوم القيامة، هل هو كلام بترجمان ؟ فَنُزِّلَ ما دار بقلبه منزلة ما جرى على لسانه. والذي يبدو لي أن غرض تقديم الظرف كان للتنبيه على أنه خبر لا نعت من أول وهلة. والنكتة في ذلك تعظيم تلك الحالة في نفس السامع؛ حتى يرعوي ويرجع وينزجر عن فراره من الله.

**"إن كان في شيء من أدويتكم، أو يكونُ في شيء من أدويتكم (٥)، خير، ففي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وما أحب أن أكتوي"**[٦].

الظاهر أن التقديم للتنبيه من أول وهلة على أن المتقدم خبر لا نعت؛ لأنه لو قيل: إن كان خير في شيء من أدويتكم ففي. .. ، لظن أن المسند بادي الرأي نعت فينتظر الخبر، وهذا لا يناسب المقام الموجب للتعجيل بحصر أنواع الأدوية النافعة إجمالاً، طلباً لتحققه في ذهن السامع؛ فراراً من ذهوله عن حصر الأدوية فيما سيذكر

---

(١) التُّرْجُمان: المعبر عن لسان بلسان. المنهاج، المجلد ٣، ج ١، ص ١٠٦.
(٢) الحديث رقم (٥٩٧).
(٣) شروح التلخيص، ج ٣، ص ٥٣.
(٤) سورة الشورى، الآية ١١.
(٥) الشك من الراوي، وفي رفع يكون أوجه منها أن التقدير: أو إن كان يكون في شيء. انظر فتح الباري، ج ١٠، ص ١٩٩.
(٦) الحديث رقم (١٤٢١).

بعدُ، اعتناء بمدح هذه الأدوية المذكورة، وبيانِ عظيم نفعها، وكبيرِ الفائدة التي فيها. كما أن الانتظار ينقص امتلاءَ الفؤادِ والجوانحِ بادئ ذي بدء بعظيم قدر هذه الأدوية، وهذا الامتلاء أمر مقصود؛ لأنه هو الذي يقتضيه مقام المدح والتعظيم لها وحصر الشفاء والعلاج فيها.

**"كان في بني إسرائيل رجلٌ قَتَلَ تسعة وتسعين إنساناً .ثم خرج يسأل. فأتى راهباً، فسأله، فقال له: هل من توبة؟ قال: لا. فقتله. فجعل يسأل.فقال له رجل: ائت قرية كذا وكذا. فأدركه الموت، فناء بصدره نحوها. فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فأوحى الله إلى هذه: أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه: أن تباعدي. وقال قيسوا ما بينهما. فوُجِدَ إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له"[1].**

الذي يظهر هنا أيضاً أن التقديم في قوله:" كان في بني إسرائيل رجلٌ قَتَلَ تسعة وتسعين إنساناً". للتنبيه من أول لحظة التكلم بالكلام على أن المسند الذي سبق المسند إليه خبر لا نعت. فلو أخر، لتوهم أنه نعت، وأن جملة (قتل) نعت ثانٍ أو خبر. فعلى التقدير الأول . وهو كون الجار والمجرور نعتاً أولاً، وجملة"قتل" نعتاً ثانياً . يقال فيه ما قيل في غيره من أن انتظار الخبر يذهب بامتلاء القلب من أول وهلة بتمكين المعنى المراد فيه، وهذا ليس مما يفعله البلغاء بقلوب السامعين من قوة التأثير فيها، لإيصال ما يريدونه وَفْقَ ما يريدونه.

وعلى الثاني . أي اعتبار الجار والمجرور في محل رفع نعت لرجل وجملة"قتل" في محل رفع خبر . يكون المعنى أن رجلاً من بني إسرائيل قتل. ..، وهذا المعنى وإن كان مستقيماً إلا أن به تفوت نكتة كانت في تقديم المسند، ومن أجلها قدم، وهي أن هذا الرجل كان في بني إسرائيل فقط لا في غيرهم. فلو أخر المسند لربما توهم السامع أن هذه القصة كانت في بني إسرائيل وفي غيرهم، أو أنها كانت في غير إسرائيل وتجوز في نسبتها إليهم؛ لأن العبرة بمدلول القصة لا بالقصة نفسها. فلما قيل: كان في بني إسرائيل، تعين وتحتم أن تكون هذه القصة حصلت في بني إسرائيل لا في غيرهم. ولا يقال: إن رجلاً نكرة ولا يجوز تقديره مبتدأ؛ لأن الابتداء بالنكرة لا

---

(1) الحديث رقم (١٧٦٠).

يجوز. نعم هي نكرة لكنها نكرة موصوفة، وهذا مسوغ للابتداء بها. ولا إشكال في هذا؛ لأن اسم كان نكرة.

فإن قلتَ: ما قلتَه يدل على أنك قدرت الجار والمجرور في التقديرين قبل الجملة الفعلية، فما المانع أن تقدره بعدها، ويكون التقدير: كان رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً في بني إسرائيل؟ قلتُ: ما قيل من ورود المعنيين هناك ينطبق على ما هاهنا، أي أن جملة قتل نعت أول، والجار والمجرور نعت ثانٍ، أو جملة قتل في محل رفع نعت لرجل، والجار والمجرور في محل نصب خبر كان.لكنْ بناء على أن شبه الجملة نعت ثانٍ يكون فيه الوصف بالجملة قبل الوصف بالجار والمجرور وهو وإنْ كان صحيحاً فصيحاً لا لحن فيه، لكنه قليل مرجوح [1]. فلزم تقدير الوجه الأول في الصورة الأولى فراراً من ارتكاب وعلى تأويل أن الجار والمجرور في محل رفع خبر يفوت التخصيص.

ولك أن تقول:في كلامك تناقض. فأنت قلتَ أولاً: إن الذي يظهر هنا . أيضاً . أن التقديم للتنبيه من أول لحظة التكلم بالكلام على أن المسند الذي سبق المسند إليه خبر لا نعت. ثم قلتَ الآن: وعلى تأويل أنه خبر يفوت التخصيص، كيف يستقيم هذا ؟. قلتُ: لقد وافقت العلامة المحقق بهاء الدين السبكي في المثال الذي قال العلماء: إنه مثال لتقديم المسند على المسند إليه، والغرضُ التنبيه من أول الأمر على أن المسند خبر لا نعت. وهو قول الشاعر الصحابي حسان ابن ثابت(ﷺ)في رائيته التي من بحر الطويل الأول:

**لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِها ❖❖❖ وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ الدَّهْرِ**

فقد قال (رحمه الله) بعد تحليله هذا البيت على هذا الاعتبار الذي قاله العلماء:" ويمكن أن يقال: إن التقديم هنا للاختصاص". [2] ولقد قرر العلماء أن نكات التقديم لا تتزاحم [3] وهذا المثال في الحديث الشريف لا فرق بينه وبين مثال التلخيص وشروحه غير أن المسند هناك خبر المبتدأ،وهنا خبر كان. وعلى كلا التأويلين المعنى واحد.

---

(1) عروس الأفراح، لبهاء الدين السبكي، ج ٢، ص ١١٥.
(2) عروس الأفراح، للسبكي، وهي مطبوعة ضمن شروح التلخيص، ج ٢، ص ١١٦، ١١٧.
(3) انظر شروح التلخيص ج ٢ ص ١٦٤.

**المطلب الثالث: التعجيل بالمسرة**

" **العبد إذا نصح سيده، وأحسن عبادة ربه، كان له أجره مرتين**"[1].

تقديم خبر كان . أرى . أنه يحتمل أمرين اثنين:

**الأول:** أنه للتخصيص وهذا بناء على الغالب في تقديم المسند على المسند إليه، ويكون المعنى أن أجر العبد الذي نصح سيده، وأحسن عبادة ربه مرتين مقصور على كونه له، لا يتجاوزه إلى كونه إلى سيده،ولا يتجاوزه إلى من لم ينصح سيده، ويحسن عبادة ربه.

**الثاني:** أن التقديم للتعجيل بالمسرة والتفاؤل؛ لأن الحديث في بيان فضل وثواب العبد المتصف بالصفات المذكورة كما قيل[2]. فالمعنى أن العبد الذي ينصح لسيده بأداء حقه من الخدمة وغيرها على الوجه الأكمل، مؤدياً له الأمانة على صورتها المثلى، ومع هذا يحسن عبادة ربه، أي يؤديها على الوجه الأفضل والأكمل والأتم وَفْقَ سنة رسول الله (ﷺ) – يتشوق ويتطلع ويتعجل أن يعرف ما جزاؤه ؟ وكيف هي عاقبته ؟ وما الثواب الذي ادخره الله له ؟ فناسب ذلك كلَّه أن يقدم المسند المشتمل على ضميره، لإسماعه من أول لحظة ما يسره؛ لأن الذي يهمه نفسُه، والحكمُ لها. وكون هذا هو الغرض في نفسي ميل إليه؛ والسبب أن القصر بناء على القول به هو قصر إضافي، والمضاف المقدر بالنسبة للعبد المذكور أرى فيه شيئاً من التكلف.

*********************

إذاً مجموع ما ورد في هذا المبحث من أغراض هي: التخصيص ، والتنبيه على أنه خبر لا نعت ، والتعجيل بالمسرة وفيه حديث واحد فقط، هذا مع كونه يحتمل أن يكون للتخصيص.

ومن هذا يمكن أن نقول: إن أهم النتائج في هذا الفصل تتمثل في أن مجموع الأغراض التي وردت في هذا الفصل أحد عشر غرضاً المكرر منها في المباحث

---

(1) الحديث رقم (١٠٧٩).
(2) فتح الباري، ج ٥، ص ٢٤٧.

الثلاثة الاختصاص، والأغراض الأصلية للاختصاص في المباحث الثلاثة تنحصر في التوجيه والإرشاد، والإخبار المتضمن للترغيب أو الترهيب أو المدح، وفي الأخير هذا نص واحد فقط، ومن هذا يمكن القول: إن الترغيب والترهيب هما الغرضان الذي دار عليهما الاختصاص في هذا الفصل. أما الغرض الثاني الذي تكرر في تقديم المسند فهو التقديم للتنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت، ولاحظت أن الأغراض الأصلية في هذه المباحث تكاد لا تخرج عن الإخبار عن أمر ما، وقد يكون الإخبار مصحوباً بمدح أو ترهيب، وجاء التنبيه . أيضاً . للتوجيه والإرشاد، وورد في موضعين في أسلوب الاستفهام التقريري، إذاً الإخبار هو الغرض الذي دار عليه التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت في الأحاديث التي بين أيدينا. ومن الأغراض التي تكرر ورودها في تقديم المسند التعجيل بالمسرة وهو آخر الأغراض المكررة، وورد في كل مبحث مرة واحدة، وفي المواضع الثلاثة التعجيل كان في أصله إخبار بما فيه سرور وحبور، وهو في الحقيقة ترغيب لما فيه خير للممتثل لفحوى الإخبار.

أما الأغراض التي لم تتكرر ففي المبحث

الأول التعجب من المسند وورد فيه نص واحد، وفي المبحث الثاني ورد تقديم المسند للتشويق إلى المسند إليه وفيه نصان، الإخبار كان الغرض الأصليَّ من التشويق، ولكن في الأول الإخبار مقروناً بالمدح، أما الثاني ففيه مجرد الإخبار. هذا حاصل الأغراض والنتائج التي وردت في هذا الفصل.

تقديم متعلِّقات الفعل عليه لا تجد أمراً اعتمده العلماء في تقديمها يجري مجرى الأصل غير الاختصاص؛ فقد قال السكاكي في أثناء حديثه عن المتعلِّقات:" والتخصيص لازم للتقديم"[١].. وقال السعد: أي لا ينفك عن تقديم المفعول ونحوه في أكثر الصور بشهادة الاستقراء وحكم الذوق، وإنما قال:غالباً. لأن اللزوم الكلي غير متحقق؛ إذ التقديم قد يكون لأغراض أُخُر، كمجرد الاهتمام، والتبرك،والاستلذاذ،وموافقة السامع،ورعاية السجع والفاصلة، ونحو ذلك"[٢]. وأضاف ابن يعقوب التعجيلَ بالمسرة[٣]. أيضاً ما يفهم من كلام العلوي أن تقديم متعلقات الفعل عليه كلِّها تفيد الاختصاص [٤]. ولكنَّ كلامهم . من حيثُ لزومُ التخصيصِ غالباً . في تقديم المتعلِّقات على عاملها، وليس في تقديم بعض المعمولات على بعض كما يفهم من كلام ابن السبكي[٥].

الاهتمام أكثر الأسباب والعلل وروداً ودوراناً في تقديم متعلقات الفعل على بعضها البعض في هذا الكتاب المبارك. والاهتمام الذي أعنيه ليس هو الاهتمام الذي قصده الشيخ عبد القاهر بقوله: اعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام"[٦]. لأن ما فهمته من كلام علماء البلاغة أن مراد الشيخ(رحمه الله) بالأهميةِ الأهميةُ المطلقة التي تشمل الأهمية الذاتية والعرضية، ويعنون بالذاتية التي يكون فيها التقديم من أجل أنه الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه، وبالعرضية التي يكون فيها التقديم للاختصاص،أو تمكينِ الخبر في ذهن السامع،أو التعجيلِ بالمسرة،أو التعجيلِ بالمساءة،أو التعظيم. .. الخ.[٧] إذاً الأهمية في هذا المطلب هي من الأهمية العرضية،التي تندرج في الأهمية المطلقة،التي عناها الشيخ عبد القاهر (رحمه الله). ومن ناحية أخرى أننا إذا تأملنا المعمول الذي تقدم على غيره من المعمولات وجدنا أن تعلق الفعل بالمعمول المتقدم هو المقصود بالذات؛ لكونه في نفسه نصبَ عين المتكلم، ولكون التفات الخاطر إليه في تزايد. و

(١) مفتاح العلوم، ص ١٣١.
(٢) شرح السعد، ج ٢، ص ١٤٩.
(٣) مواهب الفتاح، ج٢، ص ١٥٢.
(٤) انظر الطراز، ج٢، ص٦٨ ـ ٧٣.
(٥) عروس الأفراح، ج٢، ص ١٥١.
(٦) دلائل الإعجاز، ص ١٠٧.
(٧) حاشية الدسوقي على السعد،ج٢ ص١٦٢ .وشروح التلخيص،ج٢ص١٦١ ـ ١٦٣.

لاحظت أن الأغراض البلاغية في تقديم المتعلِّقات انحصرت في الاختصاص والاهتمام، والاختصاص هنا دون الاهتمام بكثير، لقلة النصوص التي تقدم فيها متعلق الفعل على عامله، الذي قال العلماء دلالته على التخصيص لازمة. أما الأغراض الأخرى التي أشاروا إليها فلم أجدها في هذا الكتاب.

# الفصل الثالث

## المبحث الأول
## تقديم الجار والمجرور

تقديم الجار والمجرور على الفعل أو على غيره من المعمولات هو أكثر المتعلقات ذكراً في الحديث النبوي الشريف،بل إنه أكثر المباحث وروداً في الحديث، بل إنه لا مقارنة بينه وبين غيره من المتعلقات من حيث كثرة النصوص والأمثلة، ولكن يكثر فيه تقديمه على غيره من المتعلقات، بخلاف تقديمه على عامله، فإنه قليل جداً مقارنة بتقديمه على المتعلقات الأخرى في الجملة؛ لذا كثر تقديمه، والغرض الاهتمام(١)؛ من أجل هذا لم أكثر من الأمثلة؛ لأن الاهتمام يتكرر فيها. نعم هناك اختلاف وتنوع وتباين بين الأغراض الأصلية لتقديم الجار والمجرور، على عامله من جهة، وعلى غيره مما تعلق بالعامل من جهة أخرى، من حيث البشارة والنذارة اللذين عليهما مدار كلام رسول الله(ﷺ). والعلماء عندما تحدثوا عن تقديم الجار والمجرور ووقفوا عنده ، نظروا إلى تقديمه على عامله(٢)، وهذا عندهم دلالته على الاختصاص لازمة كما تقدم(٣)، أما الاهتمام، فقد أشاروا إليه عرضاً، مع أني وجدت أنه الأكثر والغالب استعمالاً في كتاب اللؤلؤ والمرجان؛ لذا وقفت عنده.

### المطلب الأول: الاهتمام

**حديث أنس(رضي الله عنه)،أن النبي(ﷺ) رأى شيخاً يُهَادَى(٤)بين ابنيه،قال:"ما بال هذا؟" قالوا نذر أن يمشي.قال:"إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني" وأمره أن يركب.(٥)**

قوله:"عن تعذيب هذا نفسه لغنيٌّ" الإضافة من باب إضافة المصدر لفاعله، والجار والمجرور متعلق بخبر إنَّ، فهو من باب تقديم المعمول على العامل. والتأمل

(١) أعني الاهتمام الذاتي، الذي تحدثت عنه في مقدمة الفصل، فانظره هناك.
(٢) انظر مواهب الفتاح، ج٢، ص١٥٠. وشروح التلخيص، ج٢، ص١٥٠، ١٥١.
(٣) انظر مفتاح العلوم، ص ١٣١.
(٤) يهادى: يمشي معتمداً على غيره. انظر فتح الباري ج٤ ص ١١٣.
(٥) الحديث رقم(١٠٦٤).

يجعلنا نجزم بأن التخصيص في هذا النص المبارك غير مراد، والذي يبدو لي أن التقديم هنا كان من أجل الاهتمام؛ بيان هذا أن النبي (ﷺ) لما رأى الرجل وما لحقه من التعب، وما أدركه من النصب، وما بلغه من تعذيب نفسه في سبيل مرضاة الله، وابتغاء أجره، مع كونه تبارك وتعالى غنيًّاً تمام الغنى عن كل ما فعله عبده ، فناسب أن يقدم المعمول على العامل ؛ لأن القلب معلق بالمشقة التي أوصل العبد إليها جسمه،ومعلق بالتعذيب الذي أوصل إليها نفسه.ما حكمه،وهل ثَمَّ داعٍ إليه ؟. فهو الأهم؛ لذا قدم.

" **يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً،تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر**"[١]. ما أراه في تقديم الجار والمجرور على الفاعل أن تعلق الفعل بالجار والمجرور هو المقصود، والذي القلب به متعلق، وهو به أعنى؛لأنه الأهم،ووجه الأهمية فرحه صلى الله عليه وسلم بكبير فضل الله عليه وعلى أمته، الذي يظهر ويتجلى في كون بعض أمته يدخلون الجنة دون عذاب أو حساب،ففرحه بهذا الإكرام قُدِّم لأجله الجار والمجرور.

"**اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلته بمكة من البركة** !"[٢].

هذا الحديث ورد في صحيح البخاري في كتاب فضائل المدينة، وقد أورد فيه البخاري اثني عشر باباً في فضائل المدينة [٣]، وذكره مسلم في كتاب الحج باب فضل المدينة. ..، وأورد في الباب ثلاثة وعشرين حديثاً في فضل المدينة[٤]. إذاً الكلام عن المدينة،وعن فضلها، ومالها من منقبة،وما فيها من المزية،فالجار والمجرور هو نصب العين؛ فالاهتمام بشأنه هنا في تزايد،والتفات الخاطر إليه في تكاثر،والعناية بتقديمه صارت كالشيء الذي من أجله سيق الكلام . وهذا موجب للتقديم [٥]. فلو قيل:اللهم اجعل ضعفي ما جعلته بمكة بالمدينة؛ فلن يتغير المعنى، ولكن صار الأهمَّ المدعوُّ به،ولكنَّ السياق والجو العام للحديث من خلال ما أوردته يدل على أن الأهم، والذي القلبُ به

---

(١) الحديث رقم(١٢٩).
(٢)الحديث رقم(٨٦٧).
(٣) فتح الباري، ج٤، ص ١١٦ ـ ١٤٦.
(٤) المنهاج، للنواوي، ج ٥، ص ١٤٤ ـ ١٦٠.
(٥) مفتاح العلوم، ص ١٣٣.

أعنى، والعنايةُ به أتمُّ هو المدعوُّ له، فاستدعت البلاغة أن يقدم الجار والمجرور.

**"اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد، وانقل حمَّاها إلى الجُحْفَة، اللهم بارك لنا في مدنا وصاعنا"**[١].

الذي يبدو لي بعد ما قرأته عند شرَّاح الصحيحين أن هذا الحديث قاله رسول الله(ﷺ) بعد الهجرة بقليل بعد أن وُعِكَ بعضُ أصحابه وَعْكَاً[٢]؛لأن المدينة كانت أوبأ أرض الله تعالى[٣] إذا الدعاء كان للصحابة(رضي الله عنهم)، ومن أجلهم دعا النبي(ﷺ) بما دعا، فلما كان ذلك هو الأهم، والعرب يقدمون المُقَدَّمَ للعناية،ولأن ذكره أهم[٤] - قُدِّم الجار والمجرور على المفعول به.

**" إذا سلم عليكم أهلُ الكتاب، فقولوا: وعليكم"**[٥].

هذا الحديث قاله النبي(ﷺ)وهو يعلم أصحابه كيف يسلمون على أهل الكتاب،[٦] إذاً الحديث سيق توجيهاً للصحابة،ودلالةً لهم على كيفية التعبد بالسلام على أهل الكتاب، لذا قدم الجار والمجرور على الفاعل؛ فسلام أهل الكتاب فقط ليس هو محور الكلام،وموضع الأهمية،ومكان العناية،فلو قيل: إذا سلم أهل الكتاب عليكم. ...، لصار الفاعل هو الأهم، وقطعاً ليس الأمر كذلك.

**" فتح الله من ردم[٧] يأجوج ومأجوج[٨] مثل هذا"[٩]وعقد بيده تسعين[١٠].**

هذا الحديث أورده مسلم في باب الفتن، وفتح ردم يأجوج ومأجوج، وساق فيه عدداً من الأحاديث[١١]، وأورده البخاري في باب قصة يأجوج ومأجوج وذكر فيه جملة من الأخبار عنه(ﷺ)[١٢] يتبين من هذا أن الحديث سيق للإخبار بما فُتِحَ من ردمهما،

---

(١) الحديث رقم(٨٧٠).
(٢) الوَعْكُ مغث الحمى،وقد وعكته الحمى من باب وعد فهو موعوك. مختار الصحاح،مادة وع ك، ص ٣٢٧.
(٣) فتح الباري، ج٤، ص ١٤٢ ـ ١٤٥.
(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٠٨.
(٥) الحديث رقم (١٣٩٨).
(٦) فتح الباري، ج١١، ص ٥٨ ـ ٦٤.
(٧) الرَّدم: السد الذي بناه ذو القرنين. فتح الباري ج١٣ ص١٥٤.
(٨) يأجوج ومأجوج من بني آدم ثم بني يافث بن نوح، وقيل غير ذلك. انظر فتح الباري ج١٣ ص١٥٢.
(٩) الحديث رقم(١٨٣٠).
(١٠) عقد التسعين: أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها،ويضمها ضماً محكماً بحيث تنطوي عقداها حتى تصير مثل الحية المطوقة. فتح الباري ج١٣ ص١٥٤.
(١١) المنهاج، للنووي، ج ٩، ص ٢٢٩ ـ ٢٣١.
(١٢) فتح الباري، ج٦، ص٥٣٣ ـ ٥٤٠.

فذكر ردمهما هو الأهم، والذي به نحن أعنى؛لما في ذلك من تأكيد صدق وعد ووعيد الله عز وجل خلقَهُ؛أي أنه حث للمسلمين على الاستعداد ليوم الميعاد. قال الله تعالى:

﴿ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا (١) .

(١) سورة النساء، الآية: ٨٧.

## المطلب الثاني: الاختصاص

**حديث أبي مسعود الأنصاري(ﷺ)، عن ابن شهاب، أن عمر بن عبد العزيز أخر الصلاة يوماً، فدخل عليه عروة بن الزبير، فأخبره أن المغيرة بن شعبة أخر الصلاة يوماً، وهو بالعراق،فدخل عليه أبو مسعود الأنصاري، فقال: ما هذا يا مغيرة ؟ أليس قد علمت أن جبريل (ﷺ) نزل فصلى،فصلى رسول الله(ﷺ)، ثم صلى،فصلى رسول الله(ﷺ)، ثم صلى،فصلى رسول الله(ﷺ)، ثم صلى،فصلى رسول الله(ﷺ)،ثم صلى، فصلى رسول الله(ﷺ)، ثم قال:" بهذا أمرت"[١].**

قال ابن حجر:" قوله:" بهذا أمرتَ" بفتح المثناة على المشهور،والمعنى هذا الذي أمرت أن تصليه كل يوم وليلة.وروي الضم،أي هذا الذي أمرتُ بتبليغه لك"[٢]. إذاً تقديم المعمول أفاد الاختصاص؛والمعنى على هذا يكون أن هذه الطريقة والكيفية في هذه الأوقات التي صليت بها معي يا رسول الله،هي التي يجب عليك أداء الصلاة بها وفيها. فالتقديم أفاد قصر الأمر على هذه الطريقة في الصلاة، وعلى هذه الأوقات دون غيرها. وهذا لا يكون لو قيل: أمرت بهذا. فليس فيه أكثر من مجرد الإخبار بأنه أمر بهذه النحو في أداء الصلاة وفي وقتها.وهذا بناء الغالب في تقديم المعمول.وقد مثل شرَّاح التلخيص،ومنهم ابن يعقوب المغربي،بمثال قريب من هذا، فقال في شرحه لقول الخطيب:"وكذلك بزيد مررت":" أي مثل: زيداً عرفت. في إفادة التخصيص قولك: بزيد مررت مما ليس مفعولاً أصلياً، بل مفعولاً بواسطة الحرف، فإنه يفيد التخصيص"[٣].

**حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)، كان النبي(ﷺ) إذا تهجد من الليل قال:" اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن. أنت الحق، وقولك الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق،والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت،وإليك أنبت،وبك خاصمت،وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت،وما أسررت وما أعلنت،أنت إلهي لا إله إلا أنت". [٤]**

---

(١) الحديث رقم (٣٥٥).
(٢)فتح الباري، ج٢ ص ٨.
(٣) مواهب الفتاح، ج٢، ص١٥٠.
(٤)الحديث رقم (٤٤٠).

قال النووي:"إليك حاكمت:أي كل من جحد الحق حاكمته إليك، وجعلتك الحاكم بيني وبينه لا غيرك مما كانت تتحاكم إليه الجاهلية وغيرهم من صنم وكاهن وشيطان ونار وغيرها،فلا أرضى إلا بحكمك،ولا أعتمد غيره".[١] وقال ابن حجر: " قدم مجموع صلاة هذه الأفعال عليها إشعاراً بالتخصيص وإفادة الحصر، وكذا قوله:"ولك الحمد".[٢] والحق أن كلام ابن حجر نصٌ فيما أتحدث عنه،ولكن الاختصاص ورد هنا لأن النبي(ﷺ) هنا في حالة الاعتراف لله تعالى بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده[٣] والاعتراف يوجب تقديم ما قدم؛ لأن الله تعالى وحده هو الذي يجب أن يكون إليه المحاكمة، والإسلام، والإيمان، وعليه التوكل، وبه المخاصمة. وقد مثل الجلال السيوطي (رحمه الله) في أرجوزته عقود الجمان للاختصاص بمثال نحو هذا وهو قوله:

أَمَّا فِي الِاشْتِغَالِ فَالتَّأْكِيدُ إِنْ      قُدِّرَ مَا فُسِّرَ قَبْلَهُ يَعِنَ
وَبَعْدُ تَخْصِيصٌ، وَهَذَا يَغْلِبُ      فِيهِ كَيَا رَبِّي إِلَيْكَ أَرْغَبُ[٤]

**حديث عبد الله بن عمرو(رضي الله عنهما)، جاء رجل إلى النبي(ﷺ)، فاستأذنه في الجهاد، فقال:" أحيٌّ والداك؟" قال: نعم. قال:" ففيهما فجاهد".[٥]**

قال ابن حجر (رحمه الله):"قوله:"ففيهما فجاهد" أي خصمهما بجهاد النفس في رضاهما.ويستفاد منه التعبير عن الشيء بضده إذا فهم المعنى؛ لأن صيغة الأمر في قوله:" فجاهد" ظاهرها إيصال الضرر الذي كان يحصل لغيرهما لهما، وليس ذلك مراداً قطعاً، وإنما المراد إيصال القدر المشترك من كلفة الجهاد، وهو تعب البدن والمال".[٦] وما جيء بهذا التخصيص إلا لأن الرجل ظن أن الجهاد لا يكون إلا في قتال الأعداء، فدُلَّ على ما هو أفضل منه في حقه. [٧] فلو قيل: جاهد فيهما لم يكن في ذلك بيان لما هو أفضل في حقه، وهو الغاية من الخبر، ولم يكن في ذلك منع من

---

(١)المنهاج، ج ٣، ص٣١٥.
(٢)فتح الباري، ج٣ ص ٨.
(٣)المنهاج، ج ٣، ص٣١٥.
(٤) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، ص ٤٠.
(٥)الحديث رقم(١٦٥٣).
(٦) فتح الباري ج٦ ص ١٩٨.
(٧) انظر فتح الباري ج٦ ص ١٩٨.

الجهاد ضد الكفار، بل قصاراه حث على المبالغة في بر الوالدَيْنِ، وهذا بخلاف المراد.

**حديث عائشة(رضي الله عنها)قالت:قال لي رسول الله (ﷺ):" إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غَضْبَى" قالت:فقلت: من أين تعرف ذلك؟فقال:" أما إذا كنت عني راضية،فإنك تقولين:لا، ورب محمد! وإذا كنت غضبى،قلت:لا،ورب إبراهيم!قالت:أجل،والله يا رسول الله(ﷺ)، ما أهجر إلا اسمك[1].**

قوله:" عنيَّ راضية. .. عليَّ غضبى" قال محمد فؤاد في تعليقه على هذا الحديث:" هذا حصر في غاية من اللطف في الجواب؛ لأنها أخبرت أنها إذا كانت في غاية من الغضب الذي يسلب العاقل اختياره،فلا يغيرها عن كمال المحبة المستغرقة باطنها وظاهرها الممتزجة بروحها.وإنما عبرت عن الترك بالهجران لتدل به على أنها تتألم منه هذا الترك الذي لا اختيار لها فيه، كما قال الشاعر(من الكامل الأول):

**إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وَإِنَّنِي ❖❖❖ قَسْمَاً إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمْيَلُ[2]**

والذي يهمنا في هذا الحديث دلالة تقديم الجار والمجرور على خبر كان (راضيةً، وغضبى)،مع كونه معمولاً له، ومتعلقاً به. والتخصيص هو الذي يسبق إلى القلب إذا أردنا أنبين سبباً لذلك التقديم، أي أن رضاها وغضبها في تلك الحالة إنما يكون مقصوراً عليه(ﷺ)، ويكون المعنى:إني لأعلم إذا كنت راضية عني أنا، وإذا كنت غضبى عليَّ أنا. إذاً الحديث عن رضاها وغضبها عليه هو دون غيره من الناس. فقولها: لا ، ورب محمد . رضىً منها عنه هو(ﷺ)، وقولها:لا،ورب إبراهيم.غضبٌ منها عليه هو(ﷺ). والحق أن التقديم في هذه المُثُلِ وإن أفاد التخصيص إلا أنه مع ذلك نلاحظ أن فيه نوعاً من الاهتمام بالمتقدم؛ لأنهم يقدمون الذي أهم، وهم ببيانه أعنى. [3]

**"من حمل علينا السلاح فليس منا"[4].**

---

(1) الحديث رقم (١٥٨٠).
(2)اللؤلؤ والمرجان ج ٣ ص ١٤١. ولم أقف له على قائل.
(3) مختصر التفتازاني، ج٢، ص١٥٤.
(4) الحديث رقم (٦٣).

قوله:" من حمل". كناية عن المقاتلة أو القتل؛ للملازمة غالباً. أي أن من حمل السلاح على المسلمين لقتالهم بغير وجه حق؛ فهو ليس من النبي(ﷺ)،أي ليس على طريقته[1]. فقدم الجار والمجرور على المفعول به عناية واهتمامًا به؛ لأنه هو الأهم، فلما كان الإنكار والوعيد بعذاب الله لم يُرد به حملُ السلاح على أعداء الإسلام، ولم يرد به حملُه على الفئة الباغية من المسلمين، وإنما أريد به من حمله على المسلمين دون وجه حق؛ قدم الجار والمجرور ليفيد الاختصاص. فكأنه(ﷺ) قال: من حمل علينا نحن المسلمين فقط فليس منا.

وحاصل الأغراض التي وردت في هذا البحث غرضان هما: الاهتمام ، والحق أن الاهتمام الذي أحصيته في تقديم الجار والمجرور كثير جداً مقارنة بالاختصاص، بل الاختصاص – تقريباً انحصر في هذه الأمثلة التي أوردتها له .

---

(1) انظر فتح الباري، ج ١٣، ص ٣٥.

## المبحث الثاني
## تقديـم المفعـول به

تقديم المفعول به هو الذي كان عليه المعول في دلالات تقديم المعمولات على العامل، وتحليلها [١]، وأيضاً هو الذي أشار إليه عبد القاهر ووقف عنده، وحلل دلالته في تقديمه على الفعل[٢]، وأرى أن هذا لأنه الأكثر استعمالاً في كلام العرب، ومما يدل على هذا أن الجدال والخلاف بين من أيَّد دلالة القصر والاختصاص في تقديم المفعول به كالزمخشري وابن الأثير وجمهور العلماء وبين من أنكره كابن أبي الحديد وأبي حيان وابن الحاجب وغيرهم؛ كان معترك أقوالهم في نصوص تقدم فيها المفعول به على الفعل [٣]. وعلى كل حال لم تزد الأغراض في هذا الكتاب المبارك على غرضين كسائر مباحث هذا الفصل، وهي الاهتمام والتخصيص، وهو . أيضاً . كَثُرَ استعماله في الحديث النبوي الشريف، ولكن تقديمه للاختصاص قليل مقارنة مع الاهتمام؛ ولعل معزى هذا إلى الغايات الكبرى من التقديم والتأخير كما ستلاحظ هذا في نهاية الفصل.

### المطلب الأول: الاهتمام

" **لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**[٤]"[٥].

الظاهر أن المفعول به قدم على الفاعل عناية واهتماماً به، والتقديم أفاد أن الخاطر ملتفت كل الالتفات إلى الجنة،والقلب مشغول بها غاية الشغل، والاهتمام والعناية بها أمر يتجدد ساعة فساعة، بل لحظة فلحظة،متى كان المقام صالحاً لذكرها قدمت، وهذا أمر ستلاحظه في الأمثلة القادمة إن شاء الله تعالى؛لأن هذه الأشياء متى اجتمعت في أمر فإنه يجب تقديمه[٦].

---

([١]) انظر شروح التلخيص، ج٢، ص١٤٥.
([٢]) دلائل الإعجاز، ص١٢١، ١٢٢.
([٣]) انظر عروس الأفراح، ج٢، ص١٥١، ١٥٢.
([1]) القتُّ : نم الحديث، وبابه ردَّ مختار الصحاح، مآدة ق ت ت، ص ٢٤٢. وقال ابن حجر:" الفرق بين القتات والنمام أن النمام الذي يحضر القصة،فينقلها، والقتات الذي يتسمَّع من حيث لايُعْلَمُ به،ثم ينقل ما سمعه". انظر فتح الباري، ج١٠، ص ٦٦٧.
([2]) الحديث رقم(٦٧).
([3]) انظر الإيضاح، للخطيب القزويني، ج٢، ص ١٦٤.

**حديث عائشة(رضي الله عنها)،قالت كان النبي(ﷺ)يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول:" تحروا ليلةَ القدرِ في العشر الأواخر من رمضان"[1].**

جاء في فضل ليلة القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾[2]إذاً هي أعظم ليلة في السنة. فالنبي(ﷺ) هنا يوجه أمته لكي يلتمسوها، ويجتهدوا في طلبها اهتماماً بما فيها من الخير والرحمة. فلا شك أن تقديمها هنا لأن المقام اقتضى ذلك، وهو تعلق القلب بها،وانشغال البال بها، والتفاتهما لها في تزايد.

**" لا يكيد أهلَ المدينة أحدٌ إلا انماع كما ينماع الملح في الماء"[3].**

هذا الحديث أورده البخاري في كتاب فضائل المدينة[4] وكذا مسلم. والحق أن التنويه بالمدينة وأهلها وبما لها من مزية أمر ظاهر في متن الحديث، فلا غرو أن قدم ذكرهم مع كونه مفعولاً به، فالاهتمام بأهل المدينة، والتفات الخاطر إليهم، وشدة العناية بهم أرى أنه وراء تقديم المفعول به على الفاعل.

**" لا يدخل الجنةَ قاطعُ"[5].**

قال ابن حجر:" وجاء في روايات أخرى قاطع رحم"[6]. وقال مسلم نقلاً عن غيره:"يعنى قاطع رحم"[7]. وهذا النص تقدم له مثيل في تقديم المفعول به على الفاعل؛ لأن ذكره أهم، والنفس مشغولة به، والجوانح مملوءة بحبها، والترقب لدخولها. فاقتضى كل ذلك أن تقدم.

**" يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة"[8].**

هنا – أيضاً – قدم ذكر المفعول به على الفاعل عناية واهتماماً به، فالكعبة لها

---

([4]) الحديث رقم(٧٢٦).
([5]) سورة القدر، الآية ١ ـ ٥.
([6]) الحديث رقم(٨٧٥).
([7]) فتح الباري، ج٤، ص١٣٤.
(١) الحديث رقم(١٦٥٦).
(٢) انظر فتح الباري، ج١٠، ص٥٨٥.
(٣) المنهاج، ج ٨، ص ٣٥٤.
(٤) الحديث رقم(١٨٤٣).

أهميـة لا تبـارى،  ومكانـة لا تـدانى؛ فقصـدها تعبـداً ممـا بنـي عليـه الإسـلام، وهـي من أفضل بقاع الأرض؛  لذا قُدِّم ذكرها.

## المطلب الثاني: الاختصاص

**" لو أن لابن آدم ملءَ وادٍ مالاً لأحب أن له إليه مثله، ولا يملأ عينَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوب الله على من تاب"[١].** قوله:" ولا يملأ عينَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ" الحق أن تقديم المفعول هنا كان الغرض منه بيان الذي يملأ بطن ابن آدم ما هو؟والإخبار بأنه التراب خاصة دون غيره،وهذا أمر مطرد في تقديم المفعول في باب القصر بالنفي والاستثناء[٢] ومما يُدعم ما قلتُ قولُ الزمخشريِّ(رحمه الله) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[٣]:" فإن قلت: هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا الكلام أو أخر؟ قلت:لا بد من ذلك؛ فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى: إن الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم،وإذا عملت العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ﴾[٤] وهما معنيان مختلفان"[٥]. والحق أن هذا الكلام هو نص ما قاله عبد القاهر[٦].

**حديث عبد الله بن عمر(رضي الله عنهما)، أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) رأى حلةَ سيراءَ عند باب المسجد، فقال: يا رسول لله، لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة،وللوفد إذا قدموا عليك! فقال رسول الله(ﷺ):" إنما يَلْبَسُ هذه من لا خَلَاقَ(٧) له في الآخرة"[٨].**

الحق أن الإمام عبد القاهر ناقش قضية تقديم المفعول على الفاعل،إذا وقعا بعد (إنما)،وبين المعنى لا يمكن أن يستوي في تقديمهما أو تأخيرهما،قال(رحمه الله):" وإذا عرفت أن الاختصاص مع إلا يقع في الذي تؤخره من الفاعل والمفعول،فكذلك يقع في المؤخر منهما دون المقدم.وإذا قلت:"إنما ضرب زيداً عمرو" كان الاختصاص في الضارب،وإذا قلت:"إنما ضرب عمرو زيداً" كان الاختصاص في المضروب، وكما لا

---

(١) الحديث رقم (٦٢٣).
(٢) انظر دلائل الإعجاز، ص ٣٣٨.
(٣) سورة فاطر، الآية(٢٨).
(٤) سورة الأحزاب، الآية(٣٩).
(٥) الكشاف، ج٣، ص٣٠٧.
(٦) دلائل الإعجاز، ص ٣٣٩.
(٧) لا خلاق له: لا حظ له، ولا نصيب له من الخير. اللؤلؤ والمرجان، ج ٣، ص ٣٣.
(٨) الحديث رقم(١٣٤٠).

يجوز أن يستوي الحال بين التقديم والتأخير مع إلا، كذلك لا يجوز مع إنما"[١]. والمراد من الحديث قصر لُبْس هذه الحلة على من لا خلاق له يوم القيامة. والغاية من الاختصاص التحذير الشديد من لُبْسها .

(١) دلائل الإعجاز، ص ٣٤٠.

## المبحث الثالث
## تـقديـم الظـرف
## الاهتـمام

تقدم أن العلماء نصوا على أن تقديم الظرف على الفعل يفيد الاختصاص، إذا كان الظرف معمولاً للفعل وإن لم يتقدم فالكثير فيه أن يكون للاهتمام[1]، وهذا السبب ألتمس أنه أكثر الأسباب شيوعاً مقارنة بالأسباب الأخرى في كل الفصل ، والأسباب هي: خوف اللبس لأن في التأخير إخلالاً ببيان المعنى، أو لرعاية الفاصلة[2]، وكل الأحاديث في هذا الكتاب تأخر فيها الظرف عن عامله، ولم أجد فيها كلِّها غرضَ خوفِ اللبس أو التأخير لرعاية الفاصلة، وإنما انحصرت في الاهتمام، فيما أرى .

**حديث جابر بن عبد الله(رضي الله عنهما)،أن النبي(ﷺ)قال له في حجة الوداع:"استنصت الناس" .فقال:"لا ترجعوا بعدي كفاراً،يضربُ بعضكم رقاب بعض"[3].**

قال النووي:"قوله:"لا ترجعوا بعدي كفاراً" معناه بعد فراقي من موقفي هذا، أو يكون بعدي أي خلافي أي: لا تخلفوني في أنفسكم بغير الذي أمرتكم به، أو يكون تحقق(ﷺ) أن هذا لا يكون في حياته، فنهاهم عنه بعد مماتي"[4]. فأفهم من هذا أن النهي والتحذير كان للصحابة (رضي الله عنهم) من قتال بعضهم بعضاً بعد انتقاله للرفيق الأعلى، إذاً تقديم الظرف على الحال كان للاهتمام والاعتناء به.

**"إن أمتي يُدْعَوْنَ يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء؛ فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل"[5].**

هنا –أيضاً –جاء التقديم للظرف على الحال للاهتمام بيوم القيامة؛لأن الإكرام، والعاقبة الحسنى للمسلمين إنما تكون فيه؛ومن هذا التكريم دعوتهم غراً محجلين على رؤوس الأشهاد.

**حديث أسيد بن حضير(رضي الله عنه)،أن رجلاً من الأنصار قال:يا رسول الله،ألا تستعملني[6] كما**

---

(1) انظر شروح التلخيص، ج٢، ص١٤٥.
(2) نفسه ، ج٢، ص ١٦٤.
(3) الحديث رقم(٤٤).
(4) المنهاج، ج١ ص ٣٣٣.
(5) الحديث رقم(١٤١).
(6) ألا تستعملني: أي ألا تجعلني عاملاً على الصدقة أو على بلد. اللؤلؤ والمرجان، ج٢ ص ٢٤٨.

**استعملت فلاناً؟قال:"ستلقون بعدي أُثْرَة،فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"[1].**

يلاحظ هنا أن النبي(ﷺ) لم يجب على سؤاله، وإنما أجابه بكلام آخر،ظاهره أن ليس له صلة بالسؤال. وقد أجاب عن ذلك ابن حجر (رحمه الله) بقوله:" إرادة نفي ظنه أنه آثر الذي ولاه عليه، فبين أن ذلك لا يقع في زمانه، وأنه لم يخصه بذلك لذاته بل لعموم مصلحة المسلمين وأن الاستئثار للحظ الدنيوي إنما يقع بعده، وأمرهم عند ذلك بالصبر"[2]. فتقديم الظرف على المفعول به كان اهتماماً به؛ لأن الأُثْرة ستقع فيه. ومثل هذا قوله(ﷺ)" **ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء"[3].وكذا قوله(ﷺ):" يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقُرْصَة قيٍّ، ليس فيها معلم لأحد"[4].**

**حديث أنس(رضي الله عنه)،قال:سألوا رسول الله(ﷺ)،حتى أحفوه المسألة، فغضب، فصعد المنبر، فقال:" لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم" فجعلت أنظر يميناً وشمالاً، فإذا كل رجل لافٌّ رأسه في ثوبه يبكي. فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه. فقال: يا رسول الله، من أبي ؟ قال:" حذيفة". ثم أنشأ عمر فقال:رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد(ﷺ) رسولاً، نعوذ بالله من الفتن ! فقال رسول الله(ﷺ):"ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط؛ إنه صُوِّرَتْ لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط"[5].**

لم يقل رسول الله(ﷺ):لا تسألوني عن شيء اليوم إلا بينته لكم" وإنما قُدِّم الظرف على الجار والمجرور ،والظاهر أن الغرض كان الاهتمامَ والعناية بالسؤال في هذا اليوم، وهذه اللحظة. وألحظ فيه نوعاً من الاختصاص. وإن كان الاختصاص في تقديم بعض المعمولات على بعض قد أنكره جمهور البلاغيين، كما أشار إلى ذلك العلامة ابن السبكي في عروس الأفراح [6].

---

[1] الحديث رقم(١٢١٠).
[2] فتح الباري، ج ١٣ ص ١٣.
[3] الحديث رقم(١٧٤٤).
[4] الحديث رقم(١٧٧٧).
[5] الحديث رقم(١٥٢٣).
[6] عروس الأفراح، ضمن شروح التلخيص، ج٢، ص ١٦٥.

# المبحث الرابع

## تـقديـم الحـال

### الاهتـمام

تقديم الحال أعني به أن الحال لا يخلو إما أن يتقدم على عامله، ولم أقف في هذا على مثال، وإما أن يتأخر عن الفعل ولكن يتقدم على غيره، ولابد هنا من الإشارة إلى أن التقدم يقتضي أن لا يكون هو رتبته فقد قالوا: حق الحال التأخير عن التوابع[١] إذاً تقدمُ الحالِ الذي ينبغي أن نعلل له هو الذي تقدم فيه على ما حقه أن يتأخر عنه، وهذا الأمر هو الوارد في الحديثين الذي اخترتهما من أحاديث قليلة جداً ورد فيها تقدم الحال على غيره،وهو المفعول له في المثال الأول، والجار والمجرور الذي تعلق بالفعل في المثال الثاني، ولم أجد ما يستحق الوقوف عنده من الأمثلة التي أحصيتها.

**حديث سعد بن أبي وقاص(رضي الله عنه)، قال:أعطى رسول الله(ﷺ) وفداً، وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله(ﷺ) رجلاً لم يعطه، وهو أعجبهم إليَّ، فقمت إلى رسول الله(ﷺ) فساررته، فقلتُ:مالك عن فلان! والله إني لأراه مؤمناً. قال: أو مسلماً. قال: فسكت قليلاً، ثم غلبني ما أعلم فيه. فقلت: يا رسول الله، مالك عن فلان!والله إني لأراه مؤمناً.قال:أو مسلماً.قال:فسكت قليلاً،ثم غلبني ما أعلم فيه. فقلت: يا رسول الله، مالك عن فلان! والله إني لأراه مؤمناً.قال: أو مسلماً. فقال:" إني لأعطي الرجل، وغيرُه أحبُ إليَّ مِنْهُ، خشيةَ أن يكب على النار في وجهه"[٢].** قدمت جملة الحال(وغيره أحب إليَّ منه) على المفعول له،ولم تكن الجملة: إني لأعطي الرجل خشيةَ أن يكبَّ على النار في وجه، وغيره أحب إليَّ منه،فيما أرى للالتفات الخاطر إليه، واهتمام النفس به، وهذه أشياء موجبة للتقديم[٣]. فلما فاته تقديم رسول الله(ﷺ) له بالعطاء قدم ذكره فيما هو أفضل من العطاء، وهو حب رسول الله(ﷺ) له. إذاً الاهتمام والعناية به وراء تقديمه.

---

(١) مواهب الفتاح، ج٢، ص١٦٥.
(٢) الحديث رقم(٦٣١).
(٣) انظر الإيضاح، للخطيب القزويني، ج ٢، ص ١٦٤.

" **اختتن إبراهيم، وهو ابن ثمانين سنة، بالقَدُوم**[١]"[٢].

فقُدِّم الحال على الجار والمجرور؛ عناية واهتماماً به، ووجه العناية أن هذا الحديث ورد في فضائل سيدنا إبراهيم عليه السلام، والمنقبة والفضيلة والمدح في اختتانه بعد أن بلغ هذه السنة المتقدمة. فلو قيل: اختتن إبراهيم بالقَدُوم، وهو ابن ثمانين سنة، لم تكن في بيان الفضل وإثبات ما يتمدح به مثل العبارة الأولى مع أن المعنى هو نفس المعنى السابق، ولكنَّ الفرق في طريق إثبات المعنى. فالعرب يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى،وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم[٣]؛ فلا شك أن الإخبار بأنه اختتن، وهو ابن ثمانين عاماً، أهم من الإخبار من أنه اختتن بالقَدُوم.

في خاتمة هذا الفصل أخلُص إلى أنَّ أغراض هذا الفصل انحصرت في الاهتمام والاختصاص، وكلاهما تكرر، أما الاختصاص فورد في الفصل سبع مرات، والاختصاص في هذه النصوص كان في حقيقته إما توجيه وإرشاد، أو إخبار فيه ترهيب أو ترغيب، وورد نص واحد، الغرض الأصلي فيه من الاختصاص التذلل والافتقار وإظهار العبودية لله تعالى، لكنَّ الإخبار بما فيه من المعاني هو الغرض الأكثر تكراراً في الفصل. أما الغرض الآخر الذي تكرر في هذا الفصل فهو الاهتمام، والاهتمام ورد في الفصل تسع عشرة مرة، وهذه الأغراض دارت في حقيقتها على التوجيه والإرشاد، والترهيب، والترغيب، والمدح، والتبشير، والإخبار وهو أكثرها، والحق أن هذه هي الأغراض التي دار عليها كلام سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال هذا الكتاب، وبقليل من التأمل والتدبر والتأني يمكن إدراج كل هذه الأغراض في الترهيب والترغيب. ولي عودٌ على بدءٍ إلى هذا القضية في خاتمة البحث إن شاء الله تعالى.

---

(١) القَدُومُ: بالتخفيف آلة النجَّار، واللفظ روي بغير ذلك. المنهاج للنووي، ج٨، ص ١٣٦.
(٢) الحديث رقم(١٥٢٩).
(٣) كتاب سيبويه، ج١، ص ١٤، ١٥.

الحق أن علماء علوم القرآن وقوفاً طويلاً ومتأنياً في تقديم بعض الكلمات على بعضها البعض، وفي تقديم بعض الجمل على بعضها البعض ، بخلاف جماعة من علماء البلاغة الذي دونوا مسائلها، وبوبوا أبوابها عندما تناولوا ظاهرة التقديم والتأخير في كتاب الله تعالى، ككتاب البرهان في علوم القرآن[١]، والإتقان في علوم القرآن[٢]، وغيرهما. فهم لم يتناولوا التقديم والتأخير من حيثُ تقسيمُ علماء البلاغة فقط، وإنما كان تحليلهم لها ـ أيضاً ـ من حيثُ تقديمُ بعض الكلمات على بعض الكلمات، أو تقديمُ بعض الجمل على بعض الجمل. نعم هم أشاروا إلى تقديم بعض متعلقات الفعل على بعض، وهي قد تكون من تقديم بعض الكلمات على بعض، لكن التقديم الذي أعنيه أعم من هذا، كما هو ظاهر. ولقد ذكر الزركشي(رحمه الله)، أن أسباب التقديم عنده سبعة أسباب هي: أن يكون أصله التقديم ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر،وصاحب الحال علي الحال، نحو: جاء زيد راكباً .

الثاني: أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى نحو

فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ [٣] ومعلوم أن بعض العلماء رد التمثيل بهذه الآية، وقال:" إن يكتم لا يتعدى بمن[٤]. وإنما يتعدى بنفسه، وقد ورد تعديه بنفسه في القرآن الكريم الثالث: أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، فيقدم لمشاكلة الكلام، ولرعاية الفاصلة، نحو: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [٥].

الرابع: لِعِظَمِه والاهتمام به، نحو: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٦]. الخامس: أن يكون الخاطر ملتفت إليه، والهمة معقودة به،نحو قوله تعالى في سورة

---

(١) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ، ج ٣، ص ٢٣٣ ـ ٢٨٧.
(٢) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي، مطبعة مكتبة الهلال، بيروت، دون تاريخ، ج٢، ص ١٣ ـ ١٦.
(٣) سورة غافر، الآية(٢٨).
(٤) شروح التلخيص، ج ٢، ص ١٦٣،١٦٤.
(٥) سورة إبراهيم، الآية(٥٠).
(٦) سورة البقرة، الآية(٨٣).

الأنعام: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾[1].

السادس: أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجب من حال المذكور، نحو: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[2].

السابع: الاختصاص، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] والحق

أن الرجل هنا تابع للسكاكي؛ فهذه الأسباب، بل وكثير من الأمثلة التي أوردها هي الأمثلة نفسها التي أوردوها الخطيب، ومشى عليها شراح التلخيص كما هو معلوم وظاهر[4]. وقد تأملت الأحاديث التي اخترتها فلم تخرج من المقتضيات التي أوردها صاحب البرهان، بيد أنها في كتاب الله تعالى؛ ولعلَّ السبب ما بين القرآن والسنة من تشابه في أكثر المناحي.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن الفصول السابقة كان التقديم فيها للمُقدَّم، وهو في المعنى مؤخر، أما هنا فتقدمت الكلمة، والمعنى عليها مقدمةً.

---

(1) سورة الأنعام، الآية(١٠٠)

(2) سورة يس، الآية(٢٠).

(3) سورة الفاتحة، الآية(٥).

(4) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج ٢، ص ٢٣٣، ٢٣٨.

# الفصل الرابع

## المبحث الأول

## تقديم بعض الكلمات على بعضها

كما أشرت قبلُ إن هذا المبحث لم يتحدث عنه كثير من علماء البلاغة بالتفصيل، نعم أشار إليه ابن الأثير في المثل السائر[١] والعلوي في الطراز[٢] والزمخشري في غير ما موضع في كتابه الكشاف ، وقد تتبعها محمد محمد أبو موسى[٣] وجمعها، فأفدت منها جداً في التطبيق على الحديث النبوي ، وهي لا تخرج كثيراً عما قاله الزركشي الذي يبدو أنه وقف على كل تلك الأقوال التي لسابقيه وتأثر بها. ويلاحظ في الأغراض الواردة في الحديث أنها تحتمل أكثر من غرض، وهذا وإن كان . أيضاً . في ما تقدم من مباحث ومطالب، إلا أنه هنا أشد ظهوراً ووضوحاً منه هناك، إذا اختلف الاعتبارُ في فهم دلالة الحديث ، لذا كنت أتردد كثيراً قبل تقرير الغرض ، ومما يدل على هذا أن هذه الأغراض الخمسة التي وردت بينها تقارب في عدد النصوص[٤]

### المطلب الأول: الشرف والفضيلة

**" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه"[٥].**

قدم في هذا الحديث كلمة (نفسه) على كلمة(ماله) . والحق أن تقديم النفس على المال في القرآن كثير ؛منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ

---

(١) انظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير، مطبعة البهية، القاهرة، ١٣١٢هـ، ص١٨٠.
(٢) الطراز، لحمزة بن يحيى العلوي، ج٢، ص٥٢ ـ ٦٨.
(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، للدكتور محمد محمد أبو موسى، دار التضامن، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٣٦ وما بعدها.
(٤) انظر خاتمة المبحث.
(٥) الحديث رقم(١٤).

الجَنَّةَ ﴾[١]. والتقديم في كلا الموضعين لشرف النفس وفضيلتها على المال ؛ لأن عصمة النفس من الهلاك أهم من عصمة المال من النفاد . فلا شك أن النفس أشرف من المال بكثير.

**" لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وأطراف النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار"[٢].**

أرى أن السبب في تقديم من آتاه الله القرآن على من آتاه المال؛ لشرف وفضيلة ومنقبة صاحب القرآن. ولقد جاء في فضل حفظ كتاب الله والعمل به من المزايا ما لا تدانى أو تجارى.

**"سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه مُعَلَّقٌ في المساجد، رجلان تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة، ذات مَنْصِبٍ وجمال،فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه،ورجل ذكر الله خالياً،ففاضت عيناه"[٣].**

قال النووي:" الإمام العادل بدأ به لكثرة مصالحه، وعموم منافعه"[٤]. وقال ابن حجر في تقديم الإمام العادل:" وقدمه لعموم النفع به"[٥]. والظاهر أن هذا التقديم روعي فيه الأشرف والأفضل؛ بيان هذا أنه لما بدأ بالإمام العادل لكثرة الفائدة منه، وعموم النفع به، ثنى بالشاب الذي نشأ في عبادة الله، ولا شك أن نشوءه في عبادة ربه معناه اتصافه بالصفات الواردة بعده من تعلق قلبه بالمساجد، وأن تكون حركاته وسكناته كلها لله،وكذا فعله لكل أفعال البر من صلاة وصدقة وذكر لله تعالى على كل حال،ثم ثلث بالذي قلبه معلق بالمساجد؛ لأن الصلاة هي الركن الأعظم في الإسلام بعد الشهادة؛فهي إذاً أشرف وأفضل بهذه الكيفية من الصفات التي تليها،ثم عقب بالرجلين الذين تحابا في الله؛ لأن الحب في الله أفضل مما يليه من الصفات المذكورة، ووجه ذلك أن الحب في الله بالصورة الواردة في الحديث أمر يستمر أياماً بل وسنيناً طوالاً، بخلاف الأشياء التي

---

(١) سورة التوبة، الآية(١١١).
(٢) الحديث رقم(٤٦٦).
(٣) الحديث رقم(٦١٠).
(٤) المنهاج، ج٤، ص ١٣١.
(٥) فتح الباري، ج٢، ص ٢٠٦.

جاءت بعده، ثم عقب بذلك الرجل؛لأن العفة في هذه الحالة؛ مع هذه المرأة أمر عزيز، يكاد يكون مستحيلاً؛لذا أثبت لسيدنا يوسف عليه السلام في قرآن يتلى آناء الليل وأطراف النهار، ثم قدم الرجل المنفق على الذاكر لتعدي نفعه، بخلاف الذاكر. فالتقديم في هذا الحديث روعي فيه الأفضلُ والأحسن.

**حديث أبي هريرة(ﷺ)، كان رسول الله(ﷺ)، إذا أتي بطعام سأل عنه:" أهدية أم صدقة ؟" فإن قيل صدقة، قال لأصحابه:" كلوا" ولم يأكل، وإن قيل هدية، ضرب بيده(ﷺ)، فأكل معهم** [1]. قدمت

الهدية على الصدقة؛ لأنها الأهم،ووجه الأهمية أنها أشرف وأفضل من الصدقة،والأفضلية تجلت في كون الصدقة أكلها خاص لصحابته،أما الهدية فيأكل منها النبي(ﷺ) والصحابة أيضاً.

**" من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"** [2].

قدم ذكر من أحب لقاء الله على من كره لقاء الله لشرفه، وفضيلته على ذاك،وهو من شرف المجازاة ، وفيه . أيضاً . تقديم الترغيب في حب لقاء الله على الترهيب من لقائه ،

---

[1]) الحديث رقم(٦٥٠).
[2]) الحديث رقم(١٧١٩).

## المطلب الثاني: الكثرة والغلبة

**حديث أبي موسى(رضي الله عنه) قال: قالوا: يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال:" من سلم المسلمون من لسانه ويده"**[1].

قال ابن حجر شارحاً:" خص اللسان بالذكر لأنه المعبر عما في النفس،وهكذا اليد؛ لأن أكثر الأفعال بها، والحديث عام بالنسبة إلى اللسان دون اليد؛ لأن اللسان يمكنه القول في الماضيين والموجودين والحادثين بعد، بخلاف اليد،نعم يمكن أن تشارك اللسان في ذلك بالكتابة،وإن أثرها في ذلك لعظيم،... وفي التعبير باللسان دون القول نكتة،فيدخل فيه من أخرج لسانه على سبيل الاستهزاء،وفي ذكر اليد دون غيرها من الجوارح نكتة،فيدخل فيها اليد المعنوية كالاستيلاء على حق الغير بغير الحق"[2]. وتقديم اللسان على اليد كان من أجل أن الأذية باللسان أكثر وأشيع وأسهل لكل الناس الراعي والرعية، وصورها أكثر من كذب وغيبة ونميمة وافتراء وقول زور... إلخ. والأذى باليد . وإن كان كثيراً . إلا أنه ليس في كثرة الضرر باللسان.

**" من أكل ثوماً،أو بصلاً فليعتزلنا"** [3].

الحق الأحاديث الواردة في النهي عن أكل الثوم لمن أراد الصلاة في المسجد كثيرة جداً بالمقارنة مع الأحاديث الواردة في أكل البصل[4]، ويبدو لي أن النبي(صلى الله عليه وسلم) بدأ بها لكثرة كراهته له.

**" تُنْكَحُ المرأةُ لأربعٍ: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك"**[5].

وهذا الحديث أرى أنه رُوعِيَ فيه جانبُ الكثرةِ والغلبة، لأن حب المال في النفس البشرية أرسخ من حب الحسب فيها، وحب الحسب أرسخ من حب الجمال لديها، والدين إنما يتعلق به ذوو المروءات وأرباب الديانات، وما أقلهم !

---

(1) الحديث رقم(٢٥).
(2) فتح الباري، ج١، ص ٨١.
(3) الحديث رقم(٣٣٣).
(4) اللؤلؤ والمرجان، ج ا، ص ١١٣.
(5) الحديث رقم(٩٢٨).

## المطلب الثالث: التنقـل

" **لا يُجْمَعُ بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها**"[١]. الحـق أن تقديم العمة على الخالة ورد ـ أيضاً ـ في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إَلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً﴾ [٢]

يلاحظ أن في هذه الآية ترقياً وتنقلاً في ذكر الأقرب للإنسان فالأقرب فلعل تقديم ذكر العمة في هذا الحديث من هذا الباب.

" **إن الله حـرم علـيكم عقـوق الأمهـات،ووأد البنـات،ومَنْعَ وهَـاتِ**[٣]**،وكـره لكـم قيـل وقـال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**"[٤].

يظهر لي أن التقديم كان فيه تنقل وتدرج من الأقبح إلى القبيح؛ إذاً هو تدرج من أعلى إلى أدنى؛ أي من الأعلى في الذنب والإثم والعقوبة، إلى ما هو دونه، والدليل على ذلك أن النهي عن العقوق الوالدين الآيات فيه كثيرة جداً، وكذا الأمر فيما كرهه الله عز وجل لنا بالنسبة إلى المتقدِّم على المتقدَّم عليه.

" **إياكم والجلوسَ على الطرقات!" فقالوا: ما لنا بدٌّ؛ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال:" فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها". قالوا: وما حق الطريق؟ قال:" غض البصر،وكف الأذى،ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر**"[٥].

يلاحظ في هذا النص نهي عن ذنب يتعلق بالبصر ،ونهي عن ذنب يتعلق باليد،ونهي عن ذنب يتعلق باللسان.

---

(١) الحديث رقم(٨٩٠).
(٢) سورة النساء، الآية(٢٣).
(٣) ومَنْعَ وهَاتِ: حرم عليكم منع الواجبات من الحقوق، وحرم أخذ ما لا يحل من أموال الناس. انظر اللؤلؤ والمرجان، ج٢، ص ١٩٤.
(٤) الحديث رقم(١١١٧).
(٥) الحديث رقم(١٣٧٤).

**المطلب الرابع : السبب على المسبب**

**" من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه"[1].**

قال النووي:"معنى(إيماناً) تصديقاً بأنه حق مقتصِد[2] فضيلته،ومعنى(احتساباً) أن يريد الله تعالى وحده،ولا يقصد رؤية الناس،ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص"[3].

وما أذهب إليه أن تقديم الإيمان على الاحتساب؛ لأن الإيمان سبب وعلة في حصول الاحتساب،لأنه جاء بعد أن صدق المؤمن بأن قيام رمضان فيه أجر عظيم،وهذا الأجر من الله تعالى وحده.

---

(1) الحديث رقم(٤٣٥).
(2) ضبطتُها على أنها اسم فاعل، وعلى هذا تكون (فضيلته) ومفعولاً به.
(3) المنهاج، ج٣، ص ٢٩٨.

## المطلب الخامس: السبق الزمني

**" لا تُنْكَحُ الأَيِّمُ حتى تُسْتَأْمَرَ، ولا تُنْكَحُ البِكْرُ حتى تُسْتَأْذَنَ" قالوا: يا رسول الله، وكيف إذنها؟ قال:" أن تسكت"[1].**

هنا التقديم نُظِرَ فيه إلى السبق الزمني؛ أي قدم التي سبق لها نكاح على التي ليس لها نكاح،والسبب في ذلك أن النفوس عادة تميل إلى البكر،بل هو مندوب عند الشارع(ﷺ) ففي حديث رسول الله(ﷺ) لمن تزوج ثيباً:"هلَّا جاريةً تلاعبها وتلاعبك"[2]، فلما فاتتها كثرةُ الرغبة فيها . غالباً . قدم ذكرها جبراً لخاطرها،ودعوةً لعدم الإعراض عنهنَّ أبداً.

*******************

وفي نهاية هذا المبحث ألخصُ عدد النصوص التي أوردتها فيه، وهي:الشرف والفضيلة للمتقدِّم على المتأخر، ثم مراعاةُ الكثرة والغلبة في المتقدِّم ، والتنقل، ، والتقديم لأن في المتقدِّم علةً لوجود المتأخر، وأخيراً التقديم مراعاة للسبق الزمني في المقدَّم على المؤخر .

(1) الحديث رقم(٨٩٥).
(2) اللؤلؤ والمرجان، حديث رقم(٩٣١)، ج ٢، ص ١٠٩.

## المبحث الثاني

## تقديم بعض الجمل على بعضها

تحدث الإمام الزمخشري عن العلة في تقديم بعض الجمل على بعض،من ذلك تقديم العبادة على الاستعانة في قوله تعالى:﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [1] قال:"لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الإجابة عليها"[2]. ويبدو أن الرجل كان له اهتمام شديد بهذه المسألة لما فيها من الدلالة على الإعجاز، ولقد تتبع هذه المسائل العلامة أبو موسى فقال:" وقد اهتم الزمخشري ببيان الأسس التي سارت عليها نسق الجمل وترتيبها في القرآن كما اهتم كذلك بترتيب الآيات"[3]. فهذا المبحث فيه تأثر بما قاله الزمخشري في نحو الآية السابقة، وبما قاله بعض علماء علوم القرآن، وقد لاحظت أن تحليلهم لا يختلف كثيراً في غالب الآيات، لكن في كثير من النصوص التي اخترتها تكرر فيها الغرض البلاغي، كما سترى، وقد يكون هذا لقلة النصوص التي كانت فيها الدراسة مقارنة بجملة الأحاديث النبوية، ولكن هذا . أيضاً . خرجت منه بنتيجة أفادتني جداً في الحكم على أسلوب الحديث النبوي الشريف من خلال كتاب اللؤلؤ والمرجان، التي أرجئت عنها الحديث إلى نهاية الفصل.

ومما ينبغي التوقف عنده أن كثيراً من هذه الأغراض يمكن أن توجد في النص الواحد، ولكني عولت على الأظهر حسب ما فهمته من لفظ الحديث، أيضاً يمكن القول أن التقديم للشرف والفضيلة يصلح لكل غرض. وسأشير إلى ما فهمته من دلالة هذا.

---

(1) سورة الفاتحة، الآية(٥)
(2) الكشاف، ج١، ص٦٦.
(3) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص ٤٥٨.

## المطلب الأول: الشرف والفضيلة

**حديث عبد الله بن عمرو(رضي الله عنهما)، أن رجلاً سأل النبي(ﷺ) أي الإسلام خير؟ قال:" تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، وعلى من لم تعرف"[١].**

قال النووي:" قوله:أي الإسلام خير؟معناه:أي خصاله أموره وأحواله"[٢]. فالتقديم هنا كان للأشراف والأفضل؛ لأن السؤال كان عن الأفضل، فلما تعدد الأفضل وجب تقديم الأفضل فالأفضل، والشرف كان لعموم الانتفاع، وانتشار الفائدة؛ فالإطعام أشرف وأفضل من بذل السلام للعالَم.

**" التسبيح للرجال، والتصفيق للنساء"[٣].**

أورد الزركشي في سبب تقديم الذكور على الإناث في كثير من الآيات؛كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[٤]،وقوله: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء ﴾[٦].فقال:"قدم الذكر على الأنثى لشرف الذكورة"[٧]. وأرى أن الحديث من هذا الباب؛ أي قدم ذكر الرجال على النساء لأنهم أفضل من النساء،قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[٨]

**حديث أبي حُمَيْدٍ(رضي الله عنه) قال: أقبلنا مع النبي(ﷺ) من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال:" هذه طابة(٩)، وهذا أُحُدٌ، جبلٌ يحبنا ونحبه(١٠)"[١].**

---

([١]) الحديث رقم(٢٤).
([٢]) المنهاج، ج١، ص ٢٨٦.
([٣]) الحديث رقم(٢٤٤).
([٤]) سورة الأحزاب، الآية(٣٥).
([٥]) سورة النجم، الآية(٢١).
([٦]) سورة النساء، الآية(١).
([٧]) البرهان، ج٣، ص ٢٥٢.
([٨]) سورة النساء، الآية(٣٤).
([٩]) طابة: من أسماء المدينة المنورة، فتح الباري، ج ٤، ص ١٢٧.
([١٠]) قيل:حبُّه للنبي(ﷺ)هو على الحقيقة،ولا مانع من وقوع ذلك بأن يخلق الله المحبة في بعض الجمادات،وقيل:هو على المجاز،والمراد أهل أحد،على حد قوله تعالى:﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾سورة يوسف،الآية(٨٢)فتح الباري،ج٦،ص١٢٤.

قدم ذكر المدينة على أحد، وإن كان في ذكر أحد ما هو أعجب؛ حيث فيه معجزة ظاهرة للنبي(ﷺ)؛ لأن المدينة أفضل البلاد على الإطلاق[٢]، فقدم الأفضل على المفضول.

**"من أطاعني فقد أطاع الله،ومن عصاني فقد عصى الله"[٣].**

قدم ذكر من أطاع الله على من عصاه؛لأنه الأشرف،والأفضل، والأحب لله تعالى.

" من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي"[٤].

قدم الجملة الشرطية على جملة لا يتمثل. .. لما في الجملة الأولى من فضيلة ظاهرة، ومنقبة واضحة. وهي رؤيته في المنام يترتب عليها رؤيته في الآخرة رؤية خاصته في القرب منه، وحصول شفاعته ونحو ذلك[٥]. أما كون الشيطان لا يتمثل به(ﷺ) ففيه خاصية عظيمة له(ﷺ) ولكنه دون الأولى.

---

(١) الحديث رقم(٨٨٠).
(٢) هذا رأي جماعة من أهل العلم. انظر فتح الباري، ج ٤، ص ١٤٠ وما بعدها.
(٣) الحديث رقم(١٢٠٤).
(٤) الحديث رقم(١٤٦١).
(٥) المنهاج، ج ٨، ص ٣٠.

## المطلب الثاني: التنقل

**" أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"[١].**

محصل ما قاله ابن حجر في هذا الحديث:أن أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول،والفعل،والنية، فنبه على فساد القول بالكذب،وعلى فساد الفعل بالخيانة،وعلى فساد النية بالخلف[٢] والنية لم ترد في هذا الحديث،وإنما وردت في حديث آخر[٣] فبناء على هذا يكون التقديم روعي فيه التنقل من الخصلة الفعلية إلى الخصلة القولية، لتعدي الضرر في الفعلية،أو لشدته فيها. قدم الكذب على الخيانة لكثرته في الناس غالباً، وقدم الغدر على ما بعده؛ لأنه أقبح؛ فالفجور في الخصومة وإن كان قبيحاً، إلا أن وجود الخصومة في أصلها، لا يستعجب معه من الفجور فيها وإن كان دالاً على النفاق.

**حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)،قال:قام رسول الله(ﷺ)حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٤]، قال:" يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم ! لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب،لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله (ﷺ)، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد(ﷺ)، سليني ما شئت من مالي ! لا أغني عنك من الله شيئاً"[٥].**

هذا الحديث روعي فيه التنقل من الأبعد عنه في النسب والرحم إلى الأقرب منه(ﷺ).

---

(١) الحديث رقم(٣٧).
(٢) انظر فتح الباري، ج١، ص ١٣٤.
(٣) فتح الباري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم(٣٣)، ، ج١، ص ١٣٣.
(٤) سورة الشعراء، الآية(٢١٤).
(٥) الحديث رقم(١٢٣).

**"أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجل أدركته الصلاةُ فليصلِّ، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي(ﷺ) يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة"**[1].

هذه الخصائص فيها تدرج وترقي من أدنى إلى أعلى؛ فالنصر بالرعب خاصية عظيمة، ولكن جعل الأرض كلها مكاناً يصح فيه الصلاة أعظم منها؛إذ النصر يحتاج إليه في حالة الحرب فقط،وكذلك حل الغنائم فيه فائدة أكبر مما قبلها،وعموم رسالته أشرف وأفضل مما سبق في مقام المدح والوصف بالتفرد، وأعظم من كل هذا الشفاعة الكبرى التي هي له؛ لأنها تتعلق بالحياة الأبدية التي ليس بعده حياة.

" **العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما،والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ"**[2]. في هذا الحديث تقدم لفظ العمرة على لفظ الحج، فأرى أنه باب التنقل من الأدنى إلى الأعلى؛ أي الأدنى في الأجر والجزاء والثواب إلى الأعلى فيها،ولو عكس، لكان العكس، وهو التنقل من الأعلى إلى الأدنى. ولا إشكال فيه.

---

(1) الحديث رقم(٢٩٩).
(2) الحديث رقم(٨٥٥).

## المطلب الثالث: الاهتمام عند المخاطب

**حديث كعب بن عُجْرَة(رضي الله عنه)، عن رسول الله(ﷺ)، أنه قال:" لعلك آذاك هوامُّكَ؟" قال: نعم، يا رسول الله، فقال رسول الله(ﷺ):" احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو انْسُك بشاة"[1].**

هذا الحديث أورده محمد فؤاد عبد الباقي في كتاب الحج، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذى، ووجوب الفدية لحلقه، وبيان قدرها [2]. إذاً هذا الرجل كان به أذىً شديدٌ، فقدم له الذي هو أهم عنده، ووجه أهميته ما سببه له الهوامُّ من ألم وأذى، فكأني به همه الأول كيف يتخلص منهما أولاً، ثم بيان جبر هذا الحلق يأتي عنده بعد ذلك.

**"ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخِرِ، يقول: من يدعوني فأستجيبَ له،من يسألُني فأعطيَه،من يستغفرُني فأغفرَ له!"[3].**

في هذا الحديث تقدم طلب الدعاء على طلب السؤال الذي تقدم على طلب الاستغفار، وفي هذا يقول ابن حجر:"الفرق بين الثلاثة أن المطلوب إما لدفع المضار، أو جلب المسار،وذلك إما ديني أو دنيوي،ففي الاستغفار إشارة إلى الأول، وفي السؤال إشارة إلى الثاني،وفي الدعاء إشارة إلى الثالث"[4]. والحق أن النفس مولعة بحب العاجل، فقدم للمخاطب الذي هو أهم عنده من استجابة دعائه، ولا شك أن هذا أهم عنده لا سيما إن كان في حالة بلاء وامتحان، وهذا غالب حال الناس . ويحتمل أن يكون تقديم الدعاء على السؤال وهو على الاستغفار من باب تقديم الأعم على العام ، والعام على الخاص ؛ لأن الدعاء يشمل السؤال والاستغفار ، فهو أعم منهما ، والسؤال يشمل الاستغفار ، فهو أعم منه .

---

(1) الحديث رقم(٧٤٩).
(2) اللؤلؤ والمرجان، ج ٢، ص ٣٥.
(3) الحديث رقم(٤٣٤).
(4) فتح الباري، ج ٣، ص ٤٤.

**"دعوني ما تركتكم؛ إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"**[١].

قدم النهي على الأمر لأنه الأهم بدليل أنه(ﷺ) لم يقل فيه ما استطعتم، إذاً ما نَهَى عنه التشديد في تركه أكثر من فعل ما أمر به، فحق له التقدم عليه .

---

([١]) الحديث رقم(٨٤٦).

## المطلب الرابع: السبق

**حديث أبي هريرة(رضي الله عنه) قال كان النبي(صلى الله عليه وسلم)بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل فقال ما الإيمان ؟ قال:"الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَبِمَلَائِكَتِهِ، وَبِلِقَائِهِ وبرسله وتؤمن بالبعث". قال: ما الإسلام؟ قال:" الإسلام أن تعبد الله لا تشرك به، وتقيم الصلاة ن وتؤدي الزكاة المفروضة،وتصوم رمضان". قال: ما الإحسان؟ قال:" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قال: متى الساعة؟قال:"ما المسئول منها بأعلم من السائل،وسأخبرك عن أشراطها أن تلد الأمة ربَّها، وإذا تطاول رعاةُ الإبل البُهْمُ في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا النبي(صلى الله عليه وسلم):(إن الله عنده علم الساعة) الآية. ثم أدبر، فقال:" ردوه !" فلم يروا شيئاً. فقال:"هذا جبريل أتى يعلم الناس دينهم"[1].** قوله:" أن تؤمن بالله. .." ورد قريباً من هذا الحديث قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[2] وقد تحدث عن هذه الآية الزركشي، فقال:" ومنها . أي من أنواع التقديم بالسبق . سبق التنزيه، كقوله تعالى، وتلا الآية، فقال:فبدأ بالرسول قبل المؤمنين،ثم قال: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾ ،فبدأ بالإيمان بالله؛ لأنه قد يحصل بدليل العقل،والعقل سابق على في الوجود الشرع، ثم قال وملائكته مراعاة لإيمان الرسول؛فإنه يتعلق بالملك الذي هو جبريل أولاً،ثم بالكتاب الذي نزل به جبريل،ثم بمعرفة نفسه أنه رسول.وإنما عرف نبوة نفسه بعد معرفة جبريل عليه السلام وإيمانه،فترتب الذكر المنزل بحسب ذلك، فظهرت الحكمة والإعجاز". ثم قال:" وفي هذا الترتيب سر لطيف، وذلك لأن النور والكمال والرحمة والخير كله مضاف لله تعالى،والوسائط في ذلك الملائكة،والمقابل لتلك الرحمة الأنبياء والرسل"[3]. والحق أن الحديث الخطب فيه قريب من ذلك بل هو مطابق له، لكن فيه تقديم الرسل على البعث، والأمر هين؛ أنه من مهام الرسل إعلام الناس بالبعث والنشور والحساب،فهو من باب السبق أيضاً. لكن تقديم الإيمان باللقاء على الإيمان بالرسل؛فلتعظيم أمر الإيمان باللقاء وأنه الغاية من إرسال الرسل.لأن الإيمان به يوجب ويحتم على الإنسان أن يستعد له.

---

(1) حديث رقم(٥).
(2) سورة البقرة، الآية(٢٨٥).
(3) البرهان في علوم القرآن، ج٣، ص ٢٤٥، ٢٤٦.

**المطلب الخامس: العلة والسببية**

**"مر النبي (ﷺ) بامرأة تبكي عند قبر، فقال:" اتقي الله واصبري". قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصابي. ولم تعرفه. فقيل لها: إنه النبي (ﷺ)؛ فأتت باب النبي(ﷺ)، فلم تجد عنده بوابين؛ فقالت: لم أعرفك. فقال:" إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَي"** [1].

تقديم الأمر بالتقوى على الأمر بالصبر من باب الأمر بالسبب قبل الأمر بالمسبب؛ بيان هذا التقوى في الحقيقة سبب للصبر؛ لأن من اتقى عرف أن لا فاعل في الوجود إلا الله،فيترتب على هذا ابتغاء الأجر، وطلب الثواب من الله في الصبر على المصائب.

---

([1]) الحديث رقم (٥٣٣).

## المطلب السادس: الترتـيب

**حـديث عمـر بـن أبـي سـلمة(رضي الله عنه)، قـال: كنـت غلامـاً في حَجْـر(١) رسـول الله(ﷺ)، وكـانـت يـدي تطـيش[٢] في الصَّحْفَة، فقـال:" يـا غـلام، سـمِّ الله، وكـل بيمينـك، وكـل مما يليـك". فما زالت تلك طِعْمَتِي بعد[٣].**

الظاهر أن تقديم التسمية على الأكل باليمين، ثم على الأكل مما يليه نُظِرَ فيه إلى الترتيب الذي يفعله الذي نوى الأكل. فليبدأ بالتسمية، ثم بالأكل باليمين، فبالأكل مما يليه ، ويمكن أن يكون التقديم من باب تقديم الأقل على الأكثر .

*****************

إذاً مجموع ما ورد من أغراض في هذا المبحث كانت التقديمَ والشرفَ للمتقدم، والتنقل من أمر إلى أمر، والتقديم لأنه الأهم عند المخاطب، والتقديم مراعاة للسبق الزمني، ثم التقديم لأن المتقدِّم علة في وجود المتأخر، ووجدت له حديثاً واحداً، ثم ختمت المبحث بالتقديم مراعاة للترتيب الذي ينبغي أن يلتزمه المخاطب، ووجدت فيه نصاً واحداً ما له من ثانٍ. وهنالك أمثلة تحتمل أكثر من غرض في ترتيبها الترتيبَ الذي ورد في هذه الأحاديث، ولكني عولت على ما رأيت أنه الأولى من غيره، حسب ما قادني إليه تأملي وقياسي وعلى الأمثلة التي تأملتها في كتب العلماء.

وفي ختام هذا الفصل هذه هي أهم الأغراض الأصلية التي هداني إليها نظري في الحديث النبوي الشريف، وهي أحد عشر غرضاً في كل الفصل، المكرر منها في المبحثين التقديم لشرف المقدم وفضيلته، وفيه عشرة نصوص، دارت الأغراض الأصلية فيه على الترغيب، والتوجيه، والمدح، والفخر، والترهيب، والإخبار، لكنَّ التوجيه هو أكثر الأغراض دوراناً، يليه الترغيب، والفارق بينهما ليس كبيراً. والغرض البلاغي الثاني الذي تكرر في المبحثين هو التقديم الذي روعي فيه التنقل من صفة إلى أخرى، أو من حالة إلى حالة، ومجموع النصوص التي أوردتها في هذا الغرض

---

(١) الحَجْر:بفتح الحاء وسكون الجيم،أي في تربيته وتحت نظره. انظر فتح الباري،ج٩،ص٥٩٠.
(٢) تطيش: تتحرك، فتميل إلى نواحي القصعة،ولا تقتصر على موضع واحد. انظر فتح الباري،ج٩،ص٥٩٠.
(٣) حديث رقم(١٣١٣).

سبعة نصوص فهمت من سياقها أن في حقيقتها توجيه في نصين، وترهيب في نصين، وإخبار في نص، وفخر في آخر، وترغيب في نص. وأيضاً من الأغراض البلاغية التي وردت في المبحثين معاً التقديم بالعلة والسببية، أي أن المتقدم سبب في وجود المتأخر، وورد لكل غرض نص واحد فقط. والغرضان الأول جاء في حقيقته ترغيب في قيام رمضان، والثاني توجيه وإرشاد إلى ما فيه الثواب الوفير. أما آخر الأغراض المكررة فهي التقديم للأسبق في الوجود الزمني، وفي كل مبحث نص واحد، وفي النصين التقديم كان الغرض الأصلي منه التوجيه والإرشاد والتعليم.

أما الأغراض التي لم تتكرر في المبحث الأول فهي التقديم باعتبار الكثرة والغلبة في المقدَّم، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه. والغاية من اختيار هذه الأغراض البلاغية هي التوجيه والإرشاد في النصين الأوَّلين، وإخبار فيه ترغيب في الأفضل والأحسن في النص الأخير في المطلب. ومن الأغراض التي لم تتكرر التقديمُ للاهتمام عند المخاطب، أي أنه الأهم عنده، وهذا ورد في المبحث الثاني، ويلاحظ أن الأغراض الأصلية انحصرت في التوجيه والإرشاد لما ينبغي فعله، ثم الترغيب في يعود على الإنسان بنفع، ثم الترهيب ممَّا يضرُّ به. وآخر الأغراض التي لم تتكرر في الفصل التقديم مراعاة للترتيب المقصود، وورد فيه نص واحد هو في حقيقته توجيه وإرشاد.

إذاً هذه هي أهم الأغراض البلاغية التي وردت في فصل التقديم من حيث الرتبة، وهذه . أيضاً . أهم الأغراض التي سميتُها أغراضاً أصلية؛ لأنها التي من أجلها سيق الكلامُ، ولها قُدِّم ما قُدِّم وأُخِّر ما أُخِّر. وهذا مما أفضى بي إلى النتائج التي وصلت إليها، وهي خدمة الأغراض البلاغية للمعاني الأصلية التي من أجلها جيء بذاك الغرض، مما كَثَّرَ إثبات المعنى المقصود، والحق أن هذه هي الغاية الكبرى من استعمال الأغراض البلاغية، وللإمام عبد القاهر الجرجاني(رحمه الله) في هذا المعنى كلام نفيس، يقول في دلائل الإعجاز:" فينبغي أن تعلم أن ليست المزايا التي تجدها لهذه الأجناس على الكلام المتروك على ظاهره والمبالغة التي تحسها = في أنفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره إليها، ولكنها في طريقة إثباته لها، وتقريره إياه، . .. فإنهم لا يعنون أنفس المعاني. .. وإنما يعنون إثباتها لما تثبت

له ويخبر بها عنه"(١). وهذا ما راعيته فيما تحليل النصوص، إذ لم أجعل غايتي وهدفي ومنتهى طَلِبتي(٢) بيان الغرض البلاغي، وإنما ما أضافه استعمال الغرض البلاغي للمعنى المراد. وسأتناول الكلام بالتفصيل أكثر في خاتمة البحث.

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ٤٤٦، ٤٤٧.
(٢) الطَّلِبَة: بكسر اللام الشيء المطلوب. مختار الصحاح، مآدة ط ل ب، ص١٩٠.

# خاتمة البحث والنتائج

مما سبق يمكن القول: إن أسلوب التقديم والتأخير ورد في الحديث النبوي الشريف لأغراض معينة، فالحديث النبوي مكمل للقرآن، فالتفنن في أساليب التقديم والتأخير يلاحظ أنه في الحديث النبوي إنما جاء لخدمة معانٍ جليلة، وغايات نبيلة، وهذا يبرر ويبين لماذا انحصرت الأغراض البلاغية في أمور معينة منها التأكيد، والتعظيم، والتخصيص،ولأنه الأصل، والتشويق،والتنبيه على أنه خبر لا نعت،والاهتمام، والتحقير، والتعجب منه،وإيهام أنه لا يزول عن الخاطر، واتصافه بالخبر، والتعجيل بالمسرة،والشرف والفضيلة، والعلة والسببية،والكثرة والغلبة، والتنقل، والسبق الزمني، والاهتمام عند المخاطب، والترتيب. وهذه الأغراض البلاغية دارت في أغراض أصلية من أجلها قدم المُقدَّم، وهذه الأغراض كانت في مجملها التوجيه والإرشاد، والترغيب في الجنة ومكارم الأخلاق، والترهيب من النار وعذاب الله، وسيء الأخلاق، وأيضاً جاءت في مواضع للمدح لأناس كان لهم دور في نصرة دين الله ونصرة رسول الله(ﷺ)، ووردت في غير ما موضع للفخر والفرح برحمة وفضل الله، وجاءت كذلك للتعجيل بالمسرة بما يفرح قلوب المؤمنين المخلصين، وللتبشير، وكثر إيراد الأغراض البلاغية والغاية الإخبار بأمور غيبية دآلة على صدق رسول الله (ﷺ) فيما بُعِثَ به. ومن هذا يمكن القول إن الأغراض البلاغية للتقديم خدمت الغاية الكبرى والأصلية من الكلام خدمة جليلة؛ فقد أدى استعمالها لتأكيد صحة الأقوال التي قالها (ﷺ) من ناحية، ومن ناحية أخرى كان لاستعمالها أثرٌ بالغٌ في النفس في تقريب المعنى في الذهن، وتكثيره، والمبالغة في إثباته، وهذا كما أشرنا الغاية من استعمال الأساليب البلاغية في الكلام على تركها، أما الأغراض البلاغية من حيث نسبة الأمثلة والنماذج فيها، فيلاحظ أن تقديم المسند إليه على المسند هو الأكثر من حيث عددُ النصوص فقد اخترت له ثمانين نصاً، وتقديم المسند انتقيت له أربعة وثلاثين نصاً، وتقديم متعلقات الفعل عليه أو على بعضها البعض ورد فيه ستة وعشرين نصاً، وأخيراً تقديم بعض الكلمات على بعضها أو تقديم بعض الجمل على بعضها ذكرت له ثمانية وعشرين نصاً، إذاً يتضح من هذا أن تقديم المسند إليه هو الأكثر بل لا مقارنة بينه وبين غير من أركان الجملة، نعم تقديم الكلمات والجمل كثير لكن اختصرت

الأمثلة لأنها لا تختلف كثيراً عن بعضها البعض، وأرى أن السبب في كثرة تقديم المسند إليه هو كثرة المعاني التي استعمل فيها رسول الله(ﷺ) التقديم للتأكيد، لِمَا كان عليه الناس من الشك والإنكار عليه، أو لأن في كثير من أخباره إخبار عن غيب، وهذا يستدعى التأكيد وإن كان الصحابة لا ينكرون ولكن لتطمئن قلوبهم، أيضاً من أسباب الكثرة كثرة الأمثلة التي التقديم فيها كان لأنه الأصل، وهذا أيضاً أمر مقصود منه(ﷺ)، فالاهتمام الذاتي بالمسند إليه هو السبب في التقديم للأصل، الغالب في التقديم للأصل أن يكون في التوجيه والإرشاد، نعم أتى لغير ذلك في أمثلة غير قليلة، ولكنَّ التوجيه والتعليم هو الأكثر فيه، والتوجيه والإرشاد في الغالب يكون الكلام على أصله؛ عناية واهتماماً به وهو في مكانه، أخلص من كل هذا إلى أن الأغراض الأصلية . وهي في الغالب تدور على الترغيب والترهيب . كانت السبب الأهم في استعمال الأغراض البلاغية للتقديم. وهذا أيضاً يفسر تفاوت عدد الأغراض البلاغية. ومــن أهــم

النتائج التي توصلت لها في هذا البحث إن الأحاديث التي وردت في هذا الكتاب هي من النصوص التي استعمل فيها أسلوب التقديم والتأخير استعمالاً رائعاً، ظهرت روعته وجماله في أنه خدم المعاني الأصلية خدمة عظيمة، أدت الأمر المناط بها أحسن تأدية وأكملها. وهذا يجعلني أوصي الباحثين في الأساليب البلاغية لدراسة الحديث هذه الدراسة التحليلية حتى يتسنى الحكم على أسلوب الحديث، لا سيما لو دُرِسَ الحديثُ كلُّه من ناحية التقديم والتأخير.

# فهرس المصادر والمراجع


١) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي، مطبعة مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى ، لبنان دون تاريخ .

٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني ، مطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، المطبعة الأميرية ببولاق مصر، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٢٣هـ .

٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، للإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري المصري ، ومعه كتاب عدة السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب جلال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني مطبعة دار السرور، بيروت، دون تاريخ .

٥) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، لعبد الفتاح عبد الغني القاضي، تحقيق أسامة هيثم عطايا، مطبعة البيروني، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٦) البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار المعرفة، الطبعة الثانية ، بيروت، دون تاريخ.

٧) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، للدكتور محمد محمد أبو موسى، دار التضامن، الناشر مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٨) بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، للدكتور عُودة خليل أبو عُودة، مطبعة دار البشير، الطبعة الاولى ، عمَّان . الأردن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م

٩) تحفة الراكع الساجد بأحكام المساجد، للإمام أبي بكر بن زيد الجراعي تحقيق

صالح سالم النهام ومحمد باني المطير وصباح عبد الكريم العنزي وفيصل يوسف العلمي، مطبعة المراقبة الثقافية بإدارة المساجد، الكويت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١٠) تقريرات الشمس الأنبابي على مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح، الناشر محمد علي صبيح، القاهرة، ١٣٥٧هـ .

١١) تاج العروس من جواهر القاموس، للعلامة مرتضى محمد بن محمد بن محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي، مطبعة دار صادر: بيروت، الطبعة الأولى ، دون تاريخ .

١٢) جواهر الكنز تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي اليراعة لعماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد، تأليف نجم الدين احمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام، مطبعة منشأة المعارف، الإسكندرية، دون تاريخ .

١٣) الحواشي النقية على كتاب البلاغة لنخبة الأفاضل الأزهرية، لمحمد بن علي بن حسين المالكي، مطبعة مصطفى محمد، مصر، دون تاريخ.

١٤) حاشية الدسوقي العلامة محمد بن محمد بن عرفة على شرح العلامة مسعود بن عمر سعد الدين التفتازاني على التلخيص، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، دون تاريخ.

١٥) حاشية الشيخ مخلوف المنياوي في على شرح الشيخ أحمد الدمنهوري، لمتن الإمام الأخضري المسمى الجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون تاريخ.

١٦) دلائل الإعجاز، للإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني تتحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م

١٧) دلالات التراكيب، للدكتور محمد محمد أبو موسى، مطبعة دار المعلم، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩م.

١٨) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ . ٩١١

هـ) ، تحقيق أبو إسحاق الجويني الأثري، مطبعة دار ابن عفان، المملكة السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
١٩) ديوان أبي العلاء المعري
٢٠) شرح ابن بطال على صحيح البخاري، للإمام أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢١) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي ، مطبعة مصطفى= البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٨هـ، ١٩٣٩م.
٢٢) شرح ابن عقيل بها الدين عبدالله بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عقيل القرشي الهاشمي العقيلي ، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٦ھ – ٢٠٠٥م.
٢٣) شروح التلخيص ، مختصر العلامة السعد التفتازاني، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربي، وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
٢٤) الصاحبي في فقه اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة مكتبة دار إحياء الكتب العربية، مصر، دون تاريخ .
٢٥) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، راجعه جماعة من العلماء، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت ، د. ت.
٢٦) علم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق، مطبعة دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الثانية ، سنة١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .
٢٧) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، للإمام بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، مطبعة دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، دون تاريخ
٢٨) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن أحمد بن حجر

العسقلاني ، تحقيق عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار مصر للطباعة ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١ م .
٢٩) فقه اللغة وأسرار العربية، للإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ت(٤٣٠)، تحقيق يس الأيوبي، مطبعة المكتبة العصرية، بيروت لبنان ، الطبعة الاولى ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م
٣٠) فيض الفتاح على حواشي شرح تلخيص المفتاح، للشيخ عبد الرحمن الشربيني، مطبعة العباس، القاهرة، ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م.
٣١) الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبر سيبويه، تحقيق العلامة عبد السلام محمد هرون، دار الجيل: بيروت، لبنان. دون تاريخ.
٣٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧ . ٥٣٨هـ)، مطبعة دار الفكر، ١٩٨٣م، ١٤٠٣هـ
٣٣) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد فؤاد عبد الباقي،مطبعة دار الفكر ،دون تاريخ
٣٤) اللب المصون على الجوهر المكنون، للشيخ أحمد الدمنهوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
٣٥) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي، دار صادر: بيروت، لبنان. دون تاريخ.
٣٦) اللُّمَع في أصول الفقه، للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق أيمن صالح شعبان، مطبعة المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ.
٣٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير، مطبعة البهية، القاهرة، ١٣١٢هـ.
٣٨) مختار الصحاح ، للإمام محمد بن أبي بكر بن عبد المحسن بن عبد القادر الرازي، تحقيق د. عبد الفتاح البركاوي، مطبعة شركة الأمل للطباعة والنشر، دون تاريخ وذكر للبلد.
٣٩) مختصر التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، تأليف مسعود بن عمر سعد الدين ، الناشر محمد علي الصبيح، القاهرة، ١٣٥٧هـ .

٤٠) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
٤١) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، لابن يعقوب المغربي، شروح التلخيص، مطبعة دار السرور، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
٤٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق رضوان جامع رضوان، مطبعة الشركة الدولية، الطبعة الاولى ، القاهرة، ٢٠٠١ م.
٤٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق عصام الصبابيطي، وحازم محمد، وعماد عامر، مطبعة دار الحديث ، الطبعة الاولى ، القاهرة، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م.

# فهـــــرس المحتويات